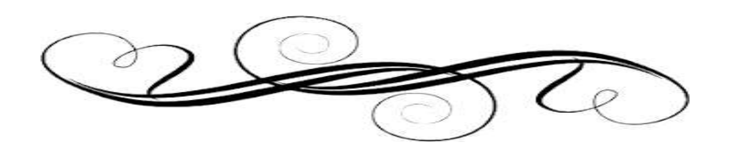
حواديت المحروسة

قصص من تاريخ مصر



د. محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى ٢٠٢٢



عنـــوان الكتاب: حواديت المحروسة

اســـم المؤلف: د. محمد فتحي عبد العال

التصنيف الأدبي: قصص من تاريخ مصر

رقم الإيـــــداع: 25915 / 2022

الترقيــم الدولي: 7 - 271 - 998 - 977 – 978



التدقيــق اللغوي: د. هبة ماردين

تـصـميم الغلاف: محمـــد وجيـــه

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـــه

رقـــــم الطبـعـة: الطبعة الأولـى

المديــــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: 00201211132879 – 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

حواديت المحروسة

قصص من تاريخ مصر

د . محمد فتحي عبد العال

ديوان العرب للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحیم

إهداء

إلى روح أخي العزيز الأستاذ أحمد فتحي عبد العال، الذي طالما حلم بأن يكون له كتابٌ في التاريخ يحمل اسمه... أحلامٌ وأمانٍ مشروعةٌ حال بينه وبين تحقيقها المرض.

أهديه هذا الكتاب، وهو في دار الحق راجياً أن يكون علماً نافعاً في ميزان حسناته. قال النبي صلَّى الله عليه وسلم: (سبعٌ يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من عَلَّمَ علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورَّثَ مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته) حسَّنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم: **3596.**

د. محمد فتحي عبدالعال

****

مقدمة

في شهر رمضان دائماً ما يكون لي معه ميقاتٌ للإبحار عبر سفينة التاريخ، وإذا ذكر التاريخ فلابد وأن تكون وجهتي مصر؛ ليس لكونها وطني، بل لأنها أرض الحضارات ومهدها؛ فبين دروبها وحواريها وأزقتها ومساجدها وشوارعها حكايات وقصص ووقائع تستحق أن تُروى.

ولأن الإلمام بكل هذه القصص غاية لا تدرك بين دفتيّ كتابي الصغير، فقد حرصت على تنوع الحكايات والمعالم بين قديم وحديث، متمنيا أن يكون عملي هذا نواةً لعمل تاريخيّ أكبر يضم كل الآثار المصرية الإسلامية مستقبلاً.

والله من وراء القصد
د. محمد فتحي عبد العال

****

الحلقة الأولى

ضريح الشبيه وجامع الأفخر

تحتضن مصر العديد من الأضرحة لأولياء الله الصالحين وأهل البيت، علاوة على مساجد تقف شامخة تأسر المآقي وتسحر الألباب؛ فتحفظ الماضي التليد وتنير للحاضر الطريق، وكأنّ القدر اختار مصر دوناً عن بقاع الأرض لصون هذا التراث الحافل والثري عبر التاريخ، ويغلف هذا التراث دائماً سياجٌ من القصص التاريخية ممتدة الحلقات، والأساطير الشعبية التي تداعب الخيال وتذوب معها العقول إلهاماً وحنيناً إلى أزمنة خلابة وعصور شديدة الإثارة، ومنها ضريح حلقتنا اليوم ومنه ننفذ للجامع أيضاً.

ضريح سيدي يحي الشبيهي أو السيد يحي بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجاءت تسميته بالشبيه لأنه كان شديد الشبه بجده النبي صلّى الله عليه وسلم شكلاً وصفاتٍ، وكان له خاتمٌ بين كتفيه كخاتم النبوّة؛ فإذا رآه الناس علت أصواتهم بالتكبير وبالصلاة على النبي صلّى الله

عليه وسلم، كما لقَّبهُ الناسُ بالديباج لحسن بشرته، والديباج نوع من الثياب الحريري الفارسيّ الصنع.

ذاع صيت الشبيهي في الأقطار الإسلامية حتى سما قدره ونما ذكره لحاكم مصر آنذاك أحمد بن طولون. كان ابن طولون في ذلك الوقت يحاول الاستقلال عن البيت العباسي مع بقاء السلطة الإسمية فقط، وهي مسألة ليست بالهينة؛ فقد جلبت عليه العديد من المصادمات مع العلماء، مثل قاضيه بكار بن قتيبة، والذي رفض لعن الموفق بالله ولي عهد الخليفة العباسي المعتمد على الله، والذي كان يمتلك السلطة الفعلية في البلاد فيما كان الخليفة مغلوباً على أمره، كما كان تصادم ابن طولون مع الشيخ أبي الحسن الزاهد بنان بن محمد بن حمدان بن سعد، المعروف بالحمَّال لتسامح ابن طولون مع النصارى في دولته، وتقليدهم بعض المهام ورغبة الأخير في تطبيق العهدة العمرية مع أهل الذمة!! وكان السجن مآل الشيخين.

صارت شرعية الحكم وإسباغ مركزه المنعة والقوة من المسائل المؤرقة لابن طولون مما جعله يتوجس من كل من حوله، وينشر عيونه وجواسيسه في كل مكان يحصون على أتباعه وكبار رجال دولته أنفاسهم، إلى الحد الذي جعله يتلصص حتى على كاتبه أحمد بن محمد الواسطي، وهو أقرب أتباعه إليه وكان له بمثابة الابن يضربه بيده ليعلمه كأبنائه، فعين له من يرقبه وينقل إليه أخباره من خاصة خَدَمِهِ الأوفياء.

كان تقريب ابن طولون للصوفيين منه بمثابة الملاذ الآمن الذي يمنحه شرعية الحكم بيسر وسهولة، ويرفع مكانته في عيون العامة بحكم ما لهؤلاء من صلة قرابة بآل البيت تجعلهم موضع احترام الناس وتوقيرهم.

من هنا كان إسراع ابن طولون لاستقدام يحي الشبيهي من الحجاز والحفاوة به؛ فكان دخوله مصر عيداً ويوماً مشهوداً، أحاطه ابن طولون بكل مظاهر الحفاوة.

كانت بركات الشيخ الجليل وصلاحه وطيب نسبه مدعاة لحب المصريين له وتوقيرهم له؛ فلما مات دفن بمشهده الحالي في شارع الإمام الليث بجبانة الإمام الشافعي بمصر القديمة.

وفي عهد الفاطميين كان الاهتمام المتزايد بأضرحة آل البيت؛ فأقيم الضريح للشيخ الراحل يحي الشبيهي وأسرته متضمناً أكبر قبة فاطمية، وهي من القباب المضلعة المميزة لهذا العصر، وذلك في عهد الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله إسماعيل أبو منصور، وهو أيضاً صاحب مسجد الفكهاني أو مسجد الأفخر الواقع بشارع المعز لدين الله، وقصة بناء مسجد الأفخر من القصص المدهشة والمبالغ فيها إلى حد وصفها بالأسطورة الشعبية، ذلك أن مكان المسجد كان حظيرةً، ويشاء القدر أن يرى الظافر، وقيل أحد خدمه لجزار يذبح خروفاً بسكين، ثم ينصرف لحاجة له ليترك السكين فليتقطها خروف آخر ليخفيها هرباً من الموت!

وهنا يدرك الخليفة أن ثمَّة رسالة إلهية خلف الواقعة؛ فأمر بعدم ذبح الخروف الثاني وهدم الحظيرة، وأقام عليها مسجداً. ولموت صاحب المسجد الخليفة الظافر أيضاً قصة لا تقل طرافة وإثارة، ذلك أنه عندما تولى الحكم كلف الأمير نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال المغربي الأصل، بتدبير الوزارة فساقته أقداره إلى معركة مع والي الإسكندرية والبحيرة الأمير المظفر علي بن السلار الكردي والذي كان يرى نفسه الأحق بالوزارة، وانتهى الصراع لصالحه في النهاية. استفحل أمر ابن السلار بعد أن استتب له الأمر في الوزارة وتلقب بالعادل.

واستمر التوجس بين الظافر ووزيره الجديد قائماً إلى أن نجح ربيب ابن السلار وابن زوجته القائد عباس بن أبي الفتوح بن يحي بن تميم الأفريقي المنشأ، والي الغربية بإيعاز من الخليفة في قتل ابن السلار غيلة أثناء نومه بيد ابنه ناصر الدين نصر بن عباس وصار الأب عباس وزيراً وتلقب بالأفضل عباس، فيما توطدت صداقة وثيقة العرى بين الخليفة الظافر وبين ابنه نصر وأصبحت دار نصر بن عباس والتي سميت بعد ذلك المدرسة الحنفية السيوفية هي المكان المفضل للخليفة، لكن سرعان ما انتشرت الشائعات حول وجود علاقة شاذة بين الخليفة وصديقه نصر، ووصلت هذه الأقاويل إلى مسامع الوزير الأفضل؛ فآلمته فأمر ابنه نصر بقتل الخليفة دفعاً للشبهة ودرءاً للفاحشة، فاستدرج الخليفة ليلاً لداره وطاوعته نفسه قتل صديقه، ففعل وألقى جثته في بئر وأشاع عباس وولده

نصر أن الخليفة ركب مركباً وغرق، لكن الأمر لم ينطلِ على جند الخليفة وعبيده فثاروا على عباس وولده نصر وطالبوا بالقصاص؛ ففر الأخيران بما تجمع لديهما من المال والجواهر إلى الشام، فظفر بهما الفرنج؛ فقتلوا عباس وأسروا نصر، ثمَّ قتلوه بعد ذلك.

المراجع والمصادر

1-مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي.

2- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقريزي.

3- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.

4- مراقد أهل البيت في القاهرة للإمام محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية.

****

الحلقة الثانية

قبة أفندينا

قبر انفرد به صاحبه عن أسرته التي حكمت مصر وأرست بنيان نهضتها، فجدُّهُ محمد علي باشا دُفِنَ بمسجده بالقلعة، وأبوه الخديوي إسماعيل ونسلُه دفنوا في مسجد الرفاعي، أما شخصيتنا اليوم اختار أن يكون قبره بمقابر المجاورين بمنشية ناصر بالقاهرة حالياً. شاءت الأقدار أن يكون صاحب القبر المنفرد موصوماً بتهمة خطيرة، وهي جلب الاحتلال وتمكينه من بلاده...

إنه الخديوي محمد توفيق باشا، والذي لم يتفق المؤرخون حوله فمنهم من دافع عنه خاصة من شهدوا حوادث الثورة العرابية عن كثب، ورأوا أنّ الرجلَ سُلبت منه كافة صلاحياته كحاكم، وأصبحت لدى أحمد عرابي ورفاقه، وأنّ عرابي أدخل مصر في مغامرة عسكرية غير محسوبة العواقب أمام قوة كبيرة كبريطانيا دون استعداد رغماً عن أنف الخديوي والباب العالي؛ مما أدخل مصر في أتون احتلال دام أكثر من سبعين عاماً.

فيما رأى المؤرخون المعاصرون أن الخديوي وظهوره بصحبة الأميرال (بوشامب سيمور) قائد الأسطول البريطاني في قصر الرمل بالإسكندرية كان ضربة قاسية للحركة الوطنية ولاستقلال بلاده.

أياً كان الأمر فموضوع حلقتنا سوف يكون من منظور مغاير وغير تقليدي عن الوجه الآخر لتوفيق باشا... فهو الرجل المحب للتعليم والثقافة الذي عنى بإنشاء المدارس تحت رعايته ودعمه كما ألغى الضرب بالسوط الذي ألهب ظهور الفلاحين لعقود طويلة، وذلك في عهد رئيس نظاره رياض باشا، علاوة على عفوه عن المشاركين في الثورة العرابية من الأهالي، وإنشاء مجلس شورى القوانين والمحاكم الأهلية، وإنشاء عدة ترع بالقرى والمدن.

تفرد توفيق كذلك بتدينه الشديد وزياراته للمدن والأقاليم المصرية القبلية والبحرية لمتابعة شؤونها، وتسابق الأهالي والأعيان في إظهار الولاء له عبر الزينات والاحتفالات، كما أنه ألغى الدوسة إحدى مظاهر الطرق الصوفية البشعة واللا إنسانية، وفيها ينبطح الدراويش على بطونهم في صف واحد كأنهم سجادة بشرية ليمر على أجسادهم كبير الدراويش راكباً فرسه، وكلما تحملت أجسادهم ذلك كان هذا دليلاً على قوة إيمانهم، وكان المصابون منهم أو الصرعى منهم تُوارى سوءاتهم في سرية تامة، حتى لا يقدح ذلك في كرامات الموكب وفي ولاية شيخهم، وينال من القوة الإيمانية التي تتلبس الدراويش أثناء مهمتهم الدينية الخارقة.

أما عن حياة توفيق الخاصة؛ فقد تزوج من امرأة واحدة هي (أمينة هانم إلهامي) في ظاهرة فريدة لتوفيق بين حكام أسرته، والذين تعددت زيجاتهم ومستولداتهم، وربما كان السبب في ذلك في وجهة نظري هو شرط وضعته أمينة هانم للزواج منه، حيث شهدت هذه الأزمنة تعهد الزوج بعدم الزواج على زوجته ووضع هذا التعهد ضمن شروط العقد، وفي حالة حنثه من قبل الزوج تصبح الزوجة طالقاً من تلقاء نفسها، كما جاء في زواج رفاعة الطهطاوي من زوجته وابنة خاله المصون الحاجة كريمة بنت العلاَّمة الشيخ محمد الفرغلي الأنصاري.

ولمَ لا، وقد اجتمع لأمينة هانم شرف النسب؟! فهي حفيدة وآل وزوجة خديوي وأم خديوي وولي عهد أيضاً، فهي ابنة إبراهيم إلهامي باشا بن عباس حلمي الأول والي مصر السابق، وهي أم الخديوي عباس حلمي الثاني، فضلاً عن كونها أم ولي عهد الدولة المصرية الأمير محمد علي في عهد الملك فاروق.

أطلق عليها المصريون لقب أم المحسنين؛ لسخائها المفرط في العطاء والبذل في أوجه الخير وأنشطتها في الجمعيات الخيرية.

الأمر المثير هو نسبها أيضاً للباب العالي؛ فأمها هي الأميرة منيرة ابنة السلطان عبد المجيد الأول، مما جعلها تطمح أن تزوج ابنها عباس حلمي الثاني من ابنة السلطان العثماني، وقد كانت لها مكانة كبيرة لدى الباب العالي، وأطلق عليها هناك الوالدة باشا، لكنّ الرياح تأتي بما لا تشتهيه

السفن، فعدم ترحاب الباب العالي بمثل هذه الزيجات وتوجسه منها واعتماده سياسة جديدة لضمان نقاء الدم العثماني، إضافة لكثرة الوشايات علاوة على نزوات عباس وظهور أعراض الحمل على إحدى جواريه وتدعى إقبال هانم دفعت الأم للاستسلام للأمر الواقع، وقبول زواج ابنها من جاريته إقبال.

نعود للقبة... أقام الخديوي توفيق وزوجته أم المحسنين هذه القبة لتكون مكان دفن أسرتهما، فيما تركا مسجد الرفاعي وقيل السبب في ذلك الجفاء بين توفيق وبين هوشيار قادين (خوشيار هانم) أم أبيه الخديوي إسماعيل ومنشئة المسجد لدعمها للثورة العرابية ونظرتها الدونية له لكونه ابن جارية هي شفق نور هانم، ودوره في عزل أبيه إسماعيل. وتوضح وثيقة زواج إسماعيل من شفق نور أم توفيق أن الزواج جاء متأخراً لتجميل صورة ابنه وولي العهد آنذاك توفيق، وربما جاء بأمر السلطان العثماني نفسه وجاء نصها: (الحمد لله الذي أحل النكاح حفظاً للأعراض والأنساب والصلاة والسلام على رسول الله الذي قال: "تناكحوا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم الحساب"، أما بعد... فإني تزوجت معتوقتي شفق نور أم أكبر أولادي وولي عهد حكومتي سعادة محمد توفيق باشا، بصداقٍ قدره خمسمائة أكياس كله مؤجل بشهادة إسماعيل صديق باشا ناظر المالية ومفتش عموم الأقاليم

ومصطفى رياض باشا والله خير الشاهدين. تحريراً في يوم السبت المبارك الموافق غرة شهر رجب **1285** هجرياً).

أقام القبة مهندس القصور الخديوية (فابريكيوس بك) على نمط العمارة المملوكية الممزوجة بالطراز الأوروبي في بعض جوانبها وضم بعض قطع الأثاث المستخدمة في افتتاح قناة السويس وكسوة الكعبة كما دمج إليها مدفن (بنيا قادن) زوجة أحمد طوسون ابن محمد علي باشا الكبير وأم عباس حلمي الأول وتعد قبة أفندينا ثاني أكبر مقبرة في العالم بعد ضريح تاج محل بالهند.

في عام **1892** توفي الخديوي محمد توفيق ليكون أول من يدفن بالقبة وقد جاءت وفاته بشكل مفاجىء ودون سابق إنذار، مما جعل الناس يتشككون في أن وفاته جاءت نتيجة خطأ طبي، مما جعل مجلس النظار يشكل لجنة طبية للتحقيق في أسباب الوفاة برئاسة روجرس باشا، انتهت أن الوفاة طبيعية بالنزلة الوافدة (الإنفلونزا) وما اتبعها من مضاعفات سريعة بالحمى وثقل بالتنفس نهاية بالتهاب الكليتين وأنه عولج بالمورفين والكافيين والكينين ولم يتخلف عن الإدلاء بشهادته سوى الدكتور عيسى باشا حمدي مما جعله في مرمى هجوم الصحف آنذاك.

نأتي لذكر صاحب القبر الثاني في القبة، ونمضي برحلتنا من الأب إلى الابن حيث يعتلي أريكة الحكم الخديوي عباس حلمي الثاني خلفاً لأبيه، وقد

تفرَّدَ بإنجازات ضخمة فاقت سابقيه كبناء سد (أو خزان) أسوان في الفترة بين عامي **1899** و**1902** وتمت تعليته عام **1912**، لحجز المياه الزائدة في موسم الفيضان والذي كان أكبر سد في العالم آنذاك، وإنشاء الجامعة المصرية في ديسمبر عام **1908**، فضلاً عن تدشين عدد كبير من الكباري، أشهرها كوبري عباس وكوبري الملك الصالح علاوة على خطة طموحة لترميم الآثار الإسلامية وكانت حالة المساجد والآثار الإسلامية في غاية السوء وتنذر بزوال بعضها وذلك بعد أن وضع محمد علي باشا يديه على أموال الأوقاف ليمول مشروعاته الكبري في مصر، كما تزايد نشاط الصحف الوطنية في عهده كاللواء والمؤيد، وحتى المعارض منها له، كحمارة منيتي لكن ما تكشفه عنه زوجته الثانية الكونتيسة المجرية (ماريانا ماي توروك هون زندرو) أو جاويدان هانم بعد إسلامها كان صادماً، من أنه كان حريصاً على المال بشكل كبير وأنها كانت تحتال على تقتير الخديوي وضيقه بالمبالغ الكبيرة بفواتير المشتريات للفساتين والورود وغيرها، فكانت تجعل أصحاب المحلات يرسلون الفواتير مفصلة للغاية حتى تبدو أرقاماً صغيرة يسهل تمريرها عليه.

ويبدو أن مسألة سعي الخديوي لتنمية ثروته بشتى الطرق كانت لافتة بدرجة كبيرة إذا علمنا أنه حينما عزل عن حكم مصر عام **1914** وفرضت الحماية البريطانية على مصر، لكنّه لم ينسَ على الرغم من مضي

السنوات إرثه في الحكم، فتنازل عن حقه في العرش للملك فؤاد مقابل ثلاثين ألف جنيه دفعتها له الحكومة المصرية عام **1931** ضمها لثروته المتنامية! وقد توفي الخديوي عباس حلمي الثاني بسويسرا عام **1944**، ثُمَّ تَمَّ نقل رفاته بعدها بعام لظروف الحرب العالمية الثانية ليستقر بمدفنه بقبة أفندينا.

وتنتهي رحلتنا مع أم المحسنين والتي جمعها صراع قضائي طريف مع الملك فؤاد حول وقف ورثته عن بنيا قادن التي أشرنا إليها آنفاً بناحية قها بالقليوبية، وكانت قد أقامته بنيا قادن للإنفاق على سبيل أم عباس وكتاب تعليم الأطفال الملحق به واللذين أقامتهما ترحماً على روح ابنها الوالي عباس حلمي الأول، الذي قُتل غيلة بقصره ببنها، وكانت الغلبة للملك فؤاد في السيطرة على الوقف في النهاية وتوفيت أم المحسنين في إسطنبول التي قضت بها جُلَّ حياتها ليستقر جثمانها في قبة أفندينا عام **1931**.

إنها ذاكرة الحجر التي تحمل لنا إرثاً تاريخياً لمصر المحروسة لا تنتهي حواديته وحكاياته وطرائفه.

****

المراجع والمصادر

1-مذكرات الأميرة جويدان حرم الخديوي عباس حلمي الثاني.

2- كتاب القول الحقيق في رثاء وتاريخ الخديوي المغفور له محمد باشا توفيق لعزيز زند.

3-كتاب الحياة في البلاط الملكي لألفريد جاشوا بتلر.

4-كتاب آثار العصر الحديث علم وتراث لمحمود عباس أحمد عبد الرحمن.

****

الحلقة الثالثة

مسجد الشيخ الخلوتي

تزخر مصر المحروسة بحواديتها الفريدة التي تعانق الخيال.. تنوع مبهر وإرث مذهل قلّما تجد له نظيراً بالعالم على مرِّ العصور.

موضوع حكايتنا اليوم عن مسجد فريد من حيث التصميم وفريد من حيث شخصية صاحبة وفريد في موقعه الغريب إنه مسجد الشيخ شاهين الخلوتي.

المسجد بسيط في تركيبه قائماً على أربعة أعمدة من الحجر وبقبلته قطع من الرخام الملون والصَدَف، وله مئذنة شامخة وكان به بئر للمياه قديماً، والمسجد تم نحته في جبل المقطم في بقعة تسمى وادي المستضعفين أو الأباجية حالياً على غرار المعابد الفرعونية كمعبد حتشبسوت بمصر ومدينة البتراء ذات المنحوتات الجبلية والصخرية الشاهقة في الأردن وهو نمط من البناء لم تعهده العمارة الإسلامية كثيراً إلا بالحصون التي تزود عن المدن قديماً.

بنى هذا المسجد الشيخ جمال الدين عبد الله ليخلد ذكرى أبيه الصوفي الزاهد الشيخ شاهين بن عبد الله ويالها من ذكرى تحمل في طياتها قصة مثيرة، فالأب الزاهد كان أحد مماليك السلطان الأشرف قايتباي حملته الأقدار من موطنه بمدينة تبريز ببلاد فارس ليستقر بمصر عبداً مملوكاً لسيده السلطان.

كان شاهين من المماليك الجلبان وهم المماليك الذين يتم جلبهم من بلادهم كباراً بالسن، غير أنه سرعان ما سئم حياة الجندية فاستأذن السلطان في مغادرته فأذن له وخرج إلى رحابة التصوف والزهد والانقطاع للعبادة فطرق رحلة الأسفار بحثاً عن مجالسة العلماء وتلقي العلم منهم؛ فتعلم على يدي العارف بالله الشيخ عمر الروشني بمنبته الأول ومسقط رأسه بمدينة تبريز ومع عودته لمصر أصبح مرافقاً للشيخ محمد الدمرداش بالعباسية ومن أقرب مريديه، حتى أطلق عليه شاهين الدمرداشي المحمدي فضلاً عن الشيخ أحمد بن عقبة اليمني وحسين جلبي وبعد وفاة الشيخ الدمرداش اعتزل الشيخ شاهين الناس واختار جبل المقطم لسكنه، ولكن زيارات الأمراء والأعيان لم تنقطع عن مجلسه للتبرك به والفوز بكراماته، كما كان ملاذاً وقبلة للمتصوفة والزهاد وكان كثير السهر متقشفاً في ثيابه لا ينطق من فيه إلا بالنذر اليسير. وقد احتل المسجد حيزاً لا بأس به من كتابات الرحالة، فكتب عنه الرحالة عبد الغني النابلسي الدمشقي في كتابه (الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز).

لا نملك معلومات كثيرة عن ظروف نحت المسجد الذي ضم رفات الشيخ شاهين وولده جمال الدين وولد ولده محمد سوى أنه تم في عهد داود باشا بن عبد الرحمن اكتمال الشهير بالخصي والي مصر العثماني من قبل السلطان العثماني سليمان القانوني، والذي أعتقه حينما دب خلاف بينه وبين الشيخ أحمد عبد الحق السنباطي لكونه عبد خصي، والعبيد لا يحكمون الأحرار وأحكامهم باطلة والغريب أن السلطان سليمان القانوني كافأ الشيخ السنباطي بجعله أول من يتولى مشيخة الأزهر في أشهر الروايات والسنباطي أيضاً هو صاحب فتوى تحريم القهوة قديماً! موقف السنباطي مع داود يستدعي من التاريخ موقفاً مشابهاً للشيخ العز بن عبد السلام مع الأمراء المماليك زمن السلطان الأيوبي نجم الدين أيوب.

وقد أقام داود جامعاً كبيراً سمي الجامع العتيق أو مسجد داود باشا بالسيدة زينب كما حفظ التاريخ اسمه من نسبة كفتة داود إليه والتي صنعت في عهده بمقادير معينة وخلطة خاصة كان يكافئ ويعاقب بسببها خدمه فبقيت إلى اليوم تحفظ اسمه وسيرته.

نعود لمسجدنا ونسأل عن سر المكان ولماذا جبل المقطم تحديداً؟ والإجابة ربما لأنه الخلوة الذي اعتزل فيه الشيخ شاهين الناس في رحلة تعبدية أشبه برحلة النبي صلّى الله عليه وسلم للتعبد في غار حراء، أو لأن جبل المقطم ترسخ في عقول أهل مصر مسلميها ومسيحيها "أنه غرس أهل الجنة وفيه يدفن أمة أخي محمد" كما جاء بمقولة السيد المسيح لأمه العذراء

مريم في رحلتهما المقدسة لمصر وانتقلت المكانة إلى المسلمين، مما جعل العديد من الصوفيين الآخرين يدفنون به كسلطان العاشقين الشاعر الصوفي عمر بن الفارض، ومن حكام مصر عمرو بن العاص الصحابي الجليل، وكذلك أحمد بن طولون ومن بعده الطولونيين بالقرافة الكبرى، واللافت أن الحاكمين كان لهما مسجدين كبيرين ومع ذلك آثرا أن يدفنا في هذا البقعة المباركة.

وقد تباينت الرؤى حول سبب تسميته بجبل المقطم، فقيل أنه من القطم أي قطع الشجر والنبات، وقيل نسبة إلى العبد الصالح المقطم بن بيصر بن مصر بن حام بن نوح، وقيل نسبة إلى الكيميائي مقيطام الحكيم الذي أوكل إليه مصرايم ملك مصر استخراج الذهب والزبرجد والفيروز وغيرها من المعادن بالجبل. كما يحتفظ التراث المسيحي بقصة طريفة حول تحريك جبل المقطم من شرق القاهرة إلى موضعه الحالي في عهد المعز لدين الله الفاطمي.

إنها مصر المحروسة وحواديتها التاريخية التي تحرك القلوب وتسحر الألباب عبر الزمان.

****

المراجع والمصادر

1-كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار مرشد الزوار إلى قبور الأبرار: المسمى الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم لموفق الدين بن عثمان الفقيه.

2-كتاب هوامش المقريزي حكايات من مصر لصلاح عيسى.

3-كتاب الكواكب السيارة: في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى لشمس الدين محمد ابن الزيات.

****

الحلقة الرابعة

مسجد العطارين

يعد واحداً من أقدم الآثار الإسلامية بمدينة الإسكندرية، ويقع المسجد بحي العطارين الشهير القريب من سوق العطارين القديم.

وراء ترميم وإحياء هذا المسجد قصة غاية في الطرافة والإثارة، فمجدده هو الوزير الأفضل بدر الدين الجمالي، وتكاليف إعادة بنائه تجمعت من غرامة مالية فرضها الجمالي على أهل الإسكندرية عقاباً لهم. ونبدأ الحكاية من البداية.

كانت الشدة المستنصرية في مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (أبي تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله) قد أوصلت مصر إلى حالة من الفوضى والإفلاس والمجاعات والفساد ومن حالات التردي الاجتماعي والأخلاقي والصحي والسياسي ما لا يحصى وما لم يسبق له مثيل بالبلاد، مما استدعى ضرورة وجود شخص قوي يعيد الأمور لنصابها ويعيد للدولة هيبتها واستقرارها على جميع الأصعدة، وهو ما حدث مع استدعاء الخليفة المستنصر -وقد خرجت الأمور تماماً من بين يديه- لوالي عكا -ومن قبلها

دمشق لفترتين -أبو النجم بدر الدين الجمالي المستنصري ليصبح الوزير في دولته والجمالي نسبة لسيده الأول وأستاذه جمال الدين بن عمار الكتامي حاكم طرابلس الشام وكان بدر أرميني الأصل.

كان شرط الجمالي أن يحضر بجنوده لمصر ولبى المستنصر شرطه.

استهل الجمالي حكمه بالقضاء على بذور الفتنة فجمع الأمراء ورجال الدولة المناوئين للمستنصر إلى مأدبة طعام وشراب، وقد أوهمهم أنه ناقم مثلهم على سياسة المستنصر، ثم أوكل لرجاله قتل كل واحد من المدعويين بمجرد خروجه لقضاء حاجته بالخلاء، مقابل الاستيلاء على قصورهم وخدمهم وكنوزهم الظاهرة والمخبأة، وبذلك وفي غضون ساعات كان قد ذبح الجمالي أغلب الأمراء المتصارعين على الحكم، كما أباد ما تبقى منهم خاصة الأتراك في مشاهد أشبه بمذبحة القلعة الشهيرة التي دبرها بعد ذلك محمد علي باشا للمماليك.

كان للجمالي دورٌ بارزٌ في تأمين الطرق والضرب على أيدي قطاع الطرق وتجديد أسوار القاهرة الدفاعية، كالنصر والفتوح وزويلة وجميعها أبواب بناها في السابق القائد جوهر الصقلي، ونظراً للنظرة العسكرية الدفاعية للجمالي والتي دفعته لهذه الأعمال فلا يخلو إنشاؤه لجامع الجيوشي على سفح جبل المقطم من هذه المآرب الدفاعية والتحصينية إذ يذهب البعض لكون الجامع أقرب إلى المشهد أو برج المراقبة ليشرف منه على القاهرة بأكملها.

كل هذه الأعمال والجهود رفعت من قدر الجمالي، كما وَطَّدَ مكانته بزواج الخليفة المستنصر من ابنته وتلقب الجمالي بألقاب عدة منها أمير الجيوش وكافل قضاة المسلمين وسيف الإسلام، ودخل في اختصاصه شؤون شتى فانسحب البساط من تحت قدميّ الخليفة شيئاً فشيئاً حتى أصبح الجمالي الحاكم الفعلي بالبلاد، وهي البداية لما عرف بعصر الوزراء الذي ساد أواخر الدولة الفاطمية، كما جعل جُلَّ رجاله وجنده من الأرمن والشوام بما يضمن ولاءَهم له في وقت كانت الغلبة في البلاط الفاطمي للعناصر المغربية والسودانية والتركية والتي بدأت تتقلص شيئاً فشيئاً مع بزوغ نجم الجمالي.

ظنَّ الجمالي أنّ الأمور استتبت له ولم يعد هناك ما يعكر صفوه، ولكن تاريخ مصر في هذه الأزمنة الغابرة لا يعرف للاستقرار سبيلاً، فأتاه التمرد من جهة لم تدُر بخياله من ناحية ابنه (الأوحد أبو الحسن) الملقب بمظفر الدولة، والذي أوكل إليه الجمالي حكم ثغر الإسكندرية، فإذا به يعلن التمرد على سلطة أبيه ويضع يده في أيدي مناوئيه، ولم تفلح وساطات عديدة من الجمالي وابنه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه لرأب الصدع ودفع الأوحد للتراجع.

حاصر بدر الجمالي الإسكندرية بقوات كبيرة لمدة شهر حتى سقطت واستسلم أهلها طالبين الأمان، وفتحت له أبوابها فعفا عن ابنه هذه المرة واكتفى بحبسه، لكن عاد وقتله لاحقاً. عفو الجمالي لم يشمل أهل الإسكندرية الذين أعانوا ابنه عليه؛ ففرض غرامة كبيرة عليهم مسلميهم

وأقباطهم، بلغت مائة وعشرين ألف دينار، ثمَّ استخدم ما تجمع لديه من مال في تعمير هذا المسجد والذي كان متهدماً وقتها ويتحدث المؤرخون أن المسجد كان مقاماً منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر على أنقاض كنيسة القديس أثناسيوس لذلك أطلق عليه مسجد القديس أثناسيوس.

سمي المسجد الجديد بعد إصلاحه بالجيوشي نسبة للقب صاحبه أمير الجيوش، لكن بمرور الوقت غلب على اسمه العطارين لكونه بجوار سوق العطارين كما أسلفنا. أهمل المسجد شأن أغلب المساجد الفاطمية بما فيهم الأزهر زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأوقفت خطبة الجمعة فيه حتى زمن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون والذي أعاد الخطبة والصلاة إليه.

وقد تضمن كتاب وصف مصر الذي كتبه علماء الحملة الفرنسية لوحة ووصفاً لزخارف هذا المسجد الملونة والمحفورة في الجرانيت والرخام بالفسيفساء وقد اهتم الفرنسيون بهذا المسجد لاعتقادهم أن به قبر الإسكندر الأكبر باني الإسكندرية!

حيث عثروا بالمصادفة على تابوت بداخله كان يستخدمه المصلون في الوضوء ثبت فيما بعد أنه لنختنبو الثاني أو نقطانب الثاني آخر حاكم وطني لمصر القديمة قبل سقوطها في أيدي الفرس.

تهدم المسجد بمضي الزمن حتى لم يبق منه سوى لوحة التأسيس والبقعة التى أقيم عليها، ومع خطة الخديوي عباس حلمي الثاني لإعادة بناء المساجد الأثرية بمصر أعيد بناء المسجد مرة أخرى عام **1901** م.

والمسجد يتكون من طابقين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وشرفاته على هيئة ورقة نباتية سباعية الفصوص وبه ضريح سيدي محمد بن سليمان بن خالد بن الوليد والذي تثور كثير من التكهنات حول عدم صحة نسبة صاحبه للصحابي خالد بن الوليد.

****

المراجع والمصادر

1-كتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء لتقي الدين المقريزي.

2-كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.

3-كتاب سير أعلام النبلاء للحافظ أبي عبد الله شمس الدين الذهبي.

****

الحلقة الخامسة

مساجد سادات قريش والمقرقع وأمير الجيوش

يعد مسجد سادات قريش بشارع بورسعيد بمدينة بلبيس بمحافظة الشرقية من المساجد الإسلامية التي تحتل مكانة كبيرة لدى العالم الإسلامي قاطبة ذلك أن الدراسات الحديثة تشير إلى أنه أول مسجد أقيم بمصر وأفريقيا وليس مسجد عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط كما هو شائع.

تتحدث الدراسات أن الطريق الذي سلكه الفاتحون الإسلاميون لمصر بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص كان من جهة سيناء مروراً بالعريش والفرما وصولاً إلى بلبيس، حيث حاصر المدينة مدة من الوقت لمناعة حصونها وظل مرابطاً بقواته عند قرية الكتيبة بلبيس حتى وقع الاشتباك بين قواته والحامية الرومانية للمدينة، وكان النصر للمسلمين بعد قتال شديد مما أسفر عن استشهاد **250** شهيد منهم **40** صحابياً و**210** من التابعين، بحسب بعض الروايات فخلد عمرو بن العاص ذكراهم ببناء مسجد في مدينة بلبيس التي شهدت استشهادهم وكان جلهم من سادة قريش فأطلق على المسجد مسجد الشهداء ومسجد سادات قريش وربما

جاءت التسمية الأخيرة لكونه المكان الذي استقرت به القبائل العربية التي تخلفت عن قوات عمرو بن العاص المتجهة لحصن بابليون لاستكمال فتح مصر.

اكتسب المسجد مكانة عظيمة مع إقامة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب به عند قدومها لمصر وتحديداً لمدينة بلبيس بعد مقتل شقيقها سيدنا الحسين بن علي في كربلاء بالعراق، حيث حملت من الكوفة إلى الشام أسيرة وخشي الخليفة الأموي يزيد من معاوية أن تألب الناس عليه، حيث اشتهرت بشجاعتها وخطابتها فأمر بالتفريق بينها وبين الناس وأن تذهب إلى أي جهة شاءت، ويقال بأنها أتت لمصر واستقبلها أهل بلبيس بحفاوة بالغة وأن والي مصر أعطاها قصره فاختارت الإقامة بغرفة به، وبعد وفاتها تحول إلى مقام ومسجد السيدة زينب الحالي وهي قصص وحكايات تفتقد لليقين التاريخي.

أطلق على المسجد أيضاً مسجد المأمون مع قدوم الخليفة العباسي أبي العباس عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد إلى مصر وإقامته بالمسجد أربعين يوماً لإخماد ثورة البشموريين ضد عسف واليه على مصر عيسى بن منصور بن موسى بن عيسى الرافقي مولى بني نصر بن معاوية من قبيلة قيس عيلان وبشمور مكان التمرد، هي المنطقة ما بين بحيرتي المنزلة والبرلس شمال مصر وهي منطقة لا تصلح للزراعة وتغطيها المستنقعات، وأهلها خليط من العرب والروم والقبط، وقيل من البحارة اليونانيين هذه

التركيبة السكانية جعلت منهم قوماً أولي بأس شديد ووصفوا بالأكثر توحشاً وتعنتاً من سائر سكان مصر كما قال عنهم المقريزي.

ممارسات الوالي عيسى الظالمة بحق أهل بشمور وفرض الضرائب الباهظة وزيادة الجزية ومصادرة أموالهم وتسخيرهم في الأعمال الشاقة وربطهم بالسلاسل إضافة لانتهاك أعراض نسائهم أيقظت الحمية داخلهم ودفعتهم في اتجاه ثورة اجتماعية كبيرة وشقوا عصا الطاعة لعيسى ورجاله مما جعل الخليفة المأمون يأتي بقواته لتأديبهم على الرغم من معرفته بجور وظلم واليه والذي أدى لهذا التمرد برعونته.

عزل المأمون الوالي كما صدرَ من الأنبيين ديونيسيوس ويوساب الأول مرسومٌ باعتبار أن هذا التمرد هو مروق عن منهاج المسيحية الداع للسلام وعدم مقاومة السلاطين والرئاسات!

مما أدى إلى تفرق جمع البشموريين بعد انفضاض الأقباط عنهم واستطاع المأمون أن يلحق هزيمة ساحقة بالمتمردين ومن فرط الجثث كانت الطيور الجارحة تحلق في الفضاء دون أن تنقض على الجثث المطروحة في الصحراء لأنها شبعت من فرط ما أكلت! كما تتبع المأمون الفارين وأمر بقتل الرجال وبيع النساء والصبيان من الأسرى بين العواصم الإسلامية؛ ليكونوا عبرة لمن لا يعتبر.

نعود للمسجد والذي يذهب البعض أنه كان في صورته الأولى بسيطاً، وربما كان أقرب إلى مسجد قباء الذي بناه النبي صلّى الله عليه وسلم بالمدينة

فكان في بدايته من الطوب اللبن وأعمدته من النخل وهي هندسة معمارية قديمة تقي المصلين من الهزات الأرضية وهطول الأمطار، ثم تولته العهود الإسلامية المتتالية بالعناية والاهتمام حتى تولى تجديد وترميم المسجد وبنى مئذنته ومنارته الأمير مصطفى الكاشف في العهد العثماني عام **1003** هـ ونظراً للفترات الزمنية القصيرة للغاية التي كان يشغلها ولاة مصر المعينين من قبل الباب العالي فمن الصعب التيقن من العهد الذي تم فيه هذا التجديد بشكل واضح وهو يقع بين ولايتي حافظ أحمد باشا الخادم (**999-1003** هـ) ومحمد باشا الكردي أو الكوردي (**1003-1004** هـ) ومع قلة أخبارهما إلا أنهما اشتهرا بعمل الخير ومساعدة الفقراء.

والمسجد حالياً يضم ثمانية عشر عموداً مثبتة معاً بعوارض متينة من الخشب ومزينة بتيجان ترمز لعصور مصر المختلفة ما بين فرعوني وبطلمي وغيرها، وكانت الأعمدة في الماضي من الرخام الفسفوري المضيء، فكان يبعث في النفس بهجة وراحة إلا أن الطبقة الفسفورية زالت مع أعمال الترميم والتجديد.

ويقال: إنّ نفقاً كان تحت المسجد يصله للقاهرة وإلى مسجد الأشرف برسباي بمدينة الخانكة.

لم يكن مسجد سادات قريش الوحيد ببلبيس الذي خلد ذكرى الفتح الإسلامي لمصر، فقد أُنشئ مسجدٌ آخر حمل اسم "المقرقع" نسبة إلى "قرقعة

السيوف" بالمعارك كما تم إنشاء مسجد أمير الجيوش نسبة إلى الصحابي الجليل شريك بن سمي الغطيفي المرادي وقد قيل: إنّه مات ببلبيس ولهذا كان المسجد.

وهو فارس يمني وكان على مقدمة جيش عمرو بن العاص إلى مصر وفي فتح الإسكندرية وكانت لقبيلته مراد التي شاركت في الفتح خطة أي حارة في مدينة الفسطاط حملت اسم خطة مراد. وإليه أيضاً ينسب كوم شريك قرية من قرى محافظة البحيرة بمصر حيث تذهب الروايات إلى أنه بادر الروم بالقتال وشغلهم مستبسلاً إلى كوم، وهو التل المرتفع من الأرض قبل أن يلحق به جيش عمرو، فكان لهذا أثرٌ في استنزاف قوى الروم ومن هنا أتت التسمية بكوم شريك.

ولهذا الصحابي أيضاً قصة طريفة ذلك أنه أراد الجمع بين الجندية والزراعة فرفض عمرو بن العاص كي لا يشارك الناس أرزاقها ولكي لا ينصرف الجند عن عملهم الأساسي لكنه تجاهل الرفض فرفع ابن العاص أمره لعمر بن الخطاب، فاستدعاه فلما مثل شريك أمام عمر هدده عمر بأن يجعل منه نكالاً فتاب شريك وأرسل عمر توبته إلى ابن العاص وقبولها منه.

إنها حكايات المحروسة وتاريخها الممتد وطرائف أيامها السحيقة وما تحمله صحائفها من عبر ودروس وعظات ولكن هل من مدكر؟!

****

المراجع والمصادر

1-موسوعة مساجد مصر وأولياؤها الصالحون للدكتورة/ سعاد ماهر.

2- كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.

3-تاريخ المقريزي الكبير المسمى (المقفى الكبير) لتقي الدين المقريزي.

4-بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس.

****

الحلقة السادسة

ضريح مالك الأشتر

يقبع ضريحه في قرية القلج (سميت نسبة للشيخ قلج الرومي الأدهمي شيخ زاوية السلطان قايتباي بالمرج) بمحافظة القليوبية.

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي وكنيته أبو إبراهيم وسمي بالأشتر لإصابته بشتر من جند الروم في معركة اليرموك بجفنه السفلي أو برموشه بالسيف. ومعركة اليرموك واحدة من أهم المعارك الإسلامية حيث كانت البداية لانطلاق المسلمين نحو الفتوحات خارج جزيرة العرب وكانت في خلافة أبي بكر الصديق واستطاع القائد خالد بن الوليد بدهائه احراز نصر سريع على الروم في هذه الواقعة عبر شن هجوم خاطف على جيش الروم.

كما سمي صاحب ضريحنا بكبش اليمن؛ لأنه كان المقدم على جيش الإمام علي وحامل لوائه، وقد أدى انحيازه لمعسكر سيدنا علي ضد معاوية إلى توليته حكم مصر خلفاً لمحمد بن أبي بكر الذي قتله أهل مصر (دس في بطن حمار ميت وأحرق!) ثم مقتله هو أيضاً بالسم عند قدومه لها في أشهر

الروايات وفيه قيل المثل "السم في العسل"، كما سجلت كتب التاريخ مقولة لعمرو بن العاص وقد سمع بموت الأشتر "أنّ لله جنوداً من عسل" وقد أوردنا هذا المثل وقصته في كتاب حكايات الأمثال.

كانت بداية الفتنة مع تصاعد الثورة ضد حكم الخليفة الثالث للمسلمين الصحابي الجليل سيدنا عثمان بن عفان، وقد كان الرجل سليم الطوية سخياً للغاية، فبذل من ماله الكثير في سبيل الدعوة الإسلامية ومنها بئر عثمان أو بئر رومة بالمدينة التي لازالت إلى يومنا هذا صدقة جارية في تمثيل جلي لقوله تعالى في سورة البقرة قال تعالى: (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (**245**)) وفي سورة الحديد قال تعالى: (فيضاعفه له وله أجر كريم).

لكنه كان هذا السخاء سلاحاً ذا حدين، إذ أوقعه كرمه مع قومه من بني أمية وهي كما أشرنا سمة شخصية في مكنونات شخصيته في إشكالات كبيرة، وقد أضحى خليفة للمسلمين وفي موضع مسؤولية ومساءلة رقابية من بعض الصحابة الناقمين كأبي ذر الغفاري الذي غضب من عطايا عثمان لمروان بن الحكم وأخيه الحارث ومن بناء معاوية بن سفيان للقصور، فضاق به عثمان ونفاه إلى الربذة حتى مات، علاوة على نظرة عامة الناس والانتهازيين منهم على وجه الخصوص، إذ ارتأوا فيما يحدث صورة للمحاباة والموالاة مما ولد فجوة راحت تتعاظم هوتها بين الخليفة ورعيته.

وساعد على ذلك سلامة طوية سيدنا عثمان وغياب الممارسة والخبرة السياسية السابقة، فجاءت استعانته بإخوة له من الرضاعة كولاة على الأمصار لتؤجج الوضع خاصة، وقد كانوا من المغضوب عليهم من النبي صلّى الله عليه وسلم، مما صعّد من مشاعر الصدمة لدى الناس مثل عبد الله بن أبي سرح ولاه مصر والذي ارتد على عهد النبي وشكك في صحة الوحي فنزل فيه قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (**21**)سورة الأنعام) وكذلك استعانة عثمان بالوليد بن عقبة بن أبي معيط والياً للكوفة وقد اتهم بالفسق على عهد النبي ونزل فيه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (**6**)سورة الحجرات) ومما زاد الطين بلة صلاة الوليد بالناس للفجر أربع ركعات تحت تأثير الخمر والكوفة ولاية خطيرة ما كانت لتترك هكذا فتندلع منها نيران الغضب حتى وإن أقام عليه عثمان الحد وعزله!

هذه الاختيارات جعلت تأليب العامة ضد عثمان والغضب من اختياراته لأقاربه مسألة لا تحتاج لتبريرات سياسية أكثر من افتقار معايير اختيار الولاة للكفاءة، وجعل القرابة هي المعيار الأوحد في الاختيار، وهو أمر لم يكن صحيحاً في كل الأحوال؛ فقد كان معاوية بن أبي سفيان أحد أقاربه ومع ذلك كان موضع تقدير أهل دمشق والشام، لكن لم يكن للخلافة

في ذلك الوقت جهاز إعلاميّ من الدعاة يفسرون للناس الأمور على وجهها الصحيح ويدعمون توجهها وتركت الأمور للظروف، وما أقسى الظروف وتغيراتها وتقلباتها.

ولو كان هذا الجهاز موجوداً لما سارَ في ركب الفتنة أناسٌ أمثال اليهودي اليمني مدعي الإسلام عبد الله بن سبأ، ولما ضَخُمَ أمرٌ كفقدان سيدنا عثمان لخاتم من ورق ورثه عن النبي خلفائه أبي بكر وعمر فعثمان واعتبار فقد عثمان له في بئر أريس (بئر الخاتم) علامة على زوال ملكه!

تواضع خبرة سيدنا عثمان السياسية أيضاً لم تجعله يأخذ بحنكة سيدنا عمر بن الخطاب في تضييق حركة الصحابة إلى الأمصار الإسلامية مع حركة الفتوحات الإسلامية، إذ أنه ومع انتشار الصحابة في الأمصار دون التقيد بمركزية الحكم جعل بعض الصحابة ينخرطون في الفتن السياسية بوعي وبدون وعي منهم.

ظهور جيل جديد من أبناء الصحابة والتابعين لم يشاهدوا الدعوة في مهدها وما قاساه حملة الراية من الرعيل الأول وما بذلوه جعلهم مفتقدين للنظرة الكلية والموضوعية الشاملة لأدوار الصحابة جميعهم خلف دعوة المصطفى صلّى الله عليه وسلم؛ فكان انحيازهم لفصيل دون الآخر، كما نجد ذلك في شخصية محمد بن أبي بكر الذي تربى في كنف علي وأقدم على اقتحام منزل عثمان مع الثوار.

لم تنتهِ الفتنة بمقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، بل اتسعت وتيرتها مع ظهور تيار سياسي يطالب بدم عثمان تزعمه معاوية بن أبي سفيان، وقد ألهب حماسة الناس بقميص عثمان المخضب بدمائه وعليه أصابع زوجته السيدة نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث الكلبي، التي حاولت الدفاع عنه ببسالة ونائلة كانت مسيحية واعتنقت الإسلام بعد ذلك.

كان التاريخ الإسلامي على أعتاب معركة كبيرة بين معسكر معاوية بن أبي سفيان ومن أنصاره عمرو بن العاص وبين جيش الإمام علي بن أبي طالب ومن أنصاره صاحب ضريحنا لم يزل العالم الإسلامي يدفع ثمن تداعياتها إلى اليوم من فرقة وتمزق.

نعود إلى الضريح والذي بقي مهملاً مدة طويلة حتى اهتم جماعة البهرة بأمره وعملوا على تجديده، ودفن فيه شقيق شيخ البهرة، والبهرة طائفة من بقايا الفاطميين الإسماعيليين بمصر خرجوا منها إلى الهند واليمن وعملوا بتجارة البهارات، ومنها اشتق اسمهم البهرة بمعنى التجار باللغة الكجراتية الهندية.

****

المراجع والمصادر

1-تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري.

2-كتاب البداية والنهاية لابن كثير.

****

الحلقة السابعة

مسجد المؤيد شيخ

يقول عنه المقريزي:

"فهو الجامع لمحاسن البنيان، الشاهد بفخامة أركانه، وضخامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان، يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وإيوان كسرى أنوشروان، ويستصغر من تأمل بديع أسطوانة الخورنق وقصر غمدان...".

بشارع الغورية يقبع جامعنا بمئذنتيه اللتين لا تعلوان المسجد، وإنما فوق باب زويلة (شعار عملات مصرية في العهد الملكي) إنه جامع المؤيد...

فمن هو المؤيد؟

هو السلطان المؤيد أبو النصر شيخ بن عبد الله المحمودي الجركسي، كان أحد مماليك السلطان برقوق وقد تدرج في المناصب حتى علا قدره، ثمّ حدثت فتنة الأمير منطاش والذي أطاح ببرقوق لبعض الوقت، فتم القبض على عدد من المماليك الموالين لبرقوق ومنهم مؤيد شيخ حيث اقتيد إلى

خزانة شمايل أو سجن شمايل بالمصطلح العصري وهو يختلف عن السجن العصري في كونه حفرة يقيد فيها السجين ويقضي بها حاجته وحسب.

ولكن ما هو سجن شمايل الرهيب؟

هو سجن مروع بناه علم الدين شمايل أحد فلاحي بعض قرى مدينة حماة، وقد أصبح واليًا على القاهرة في عهد السلطان الكامل مكافأة له على إخلاصه ودوره في نقل رسائل السلطان إلى أهالي دمياط المحاصرين وحثهم على الصمود أثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط.

نذر المؤيد:

وفي شمايل تم شكه في الزنجبير! وهي من كلاسيكيات فن التعذيب المملوكي حيث قيد من يديه وساقيه وعنقه بسلاسل مثبتة في الحائط ناهيكم عن العذاب بالحشرات من البراغيث والبق التي حفل بها هذا السجن أو الحفرة، فنذر المؤيد لله نذراً إن فك الله كربه وصار له ملك مصر أن يهدم السجن ويقيم مكانه جامعاً كبيراً. وتدور الأيام ويتحقق حلم المؤيد شيخ بحكم مصر.

المسجد الحرام:

ويفي المؤيد بنذره فهدم السجن وأقام الجامع مكانه في عجالة. كان المسجد يحتاج كميات كبيرة من الرخام فهاجم مماليك المؤيد بيوت الناس لخلع الرخام طوعاً أو كرهاً، كما أخذ باب السلطان حسن ليكون باب جامعه وكذلك النجفة النحاسية ليضيف مسجده إلى مساجد المماليك الحرام التي

تُبنى من سرقة أموال الناس وأسرع المؤيد بافتتاح الجامع على الرغم من عدم اكتمال البناء....

قاتل ابنه:

وتمضي السنون ويتحول الضحية إلى جانٍ، فقد نجح كاتب السر ابن بارزي في بث سمومه وتأليب المؤيد على ابنه الصارمي إبراهيم، وهو الفارس الوسيم الذي وطَّدَ ملك أبيه في بلاد الشام وأحبه الناس والجيش، فقام المؤيد بدس السم لابنه في الحلوى وكان السم بطيئاً، وحينما بدأت الأعراض تظهر على الابن ندم المؤيد على فعلته وجلس بجانبه يبكيه، ولكن الوقت مضى وحانت لحظة الرحيل؛ فمات الابن وخرجت جنازته من القلعة إلى الجامع الذي أنشأه المؤيد وبكى المؤيد على ابنه الراحل وهو يسمع خطيب المنبر يروي حديث النبي صلّى الله عليه وسلم حينما فقد ابنه إبراهيم عليه السلام: (إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون) وحتى يخفف الأب المكلوم من لوعة حزنه على فراق ولده دس لابن بارزي من نفس السم!

مات المؤيد حزناً في نفس السنة لقد قتل الاب ابنه حتى لا يليه في الحكم فجمعتهما الأقدار للموت في عام واحد وفي نفس القبر!!

الرضيع يحكم مصر:

بوفاة المؤيد وابنه إبراهيم تطل علينا واحدة من سخريات القدر، حيث اجتمع مماليك المؤيد على تولية ابنه الرضيع شهاب الدين أبو السعادات أحمد والسعادات نسبة لاسم أمه!! وفي سابقة الأولى من نوعها تولى الرضيع حكم مصر والمثير أن الطفل الرضيع أصابه الحول في حفل تنصيبه على صوت دقات الكورسات!

وصف الجامع:

أشرف على بناء الجامع بهاء الدين محمد ابن البرجي ويتكون المسجد من أربع واجهات وبابه من الخشب المصفح بالنحاس والمزين بالذهب والفضة وهو باب مدرسة السلطان حسن كما سبق وأن ذكرنا ويتوسط جدار القبلة محراب مكسو بالرخام الملون وحافل بالزخارف، وكان للجامع مكتبة قيمة وكان يدرس به العلوم الشرعية.... وإلى هنا ننتهي بجولتنا في واحدة من أشهر محطات الفن المملوكي وتاريخه.

****

المراجع والمصادر

1- كتاب "تاريخ المساجد الأثرية" لحسن عبد الوهاب.

2-موسوعة "مساجد مصر وأولياؤها الصالحون" لسعاد ماهر.

3- كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة لمحمد فتحي عبد العال الجزء الثاني.

****

الحلقة الثامنة

مظاهر الاحتفال بعيد الفطر في العصرين الفاطمي والمملوكي

كانت البداية للمراسم والاحتفالات الصاخبة المصاحبة لعيد الفطر مع قدوم الفاطميين لمصر، وكان التحضير للاحتفالات يبدأ من العشر الأواخر من رمضان ويستهل الاحتفال باليوم الموعود بخروج موكب الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي من قصره محاطاً بالأبهة والعظمة، وكان المعز يرتدي لهذه المناسبة الديباج واللباس الأبيض ويتقدم موكبه الجند وحملة الأعلام والناس من حوله تتعالى تكبيراتهم وقد اختار المعز أن تكون الصلاة في ساحة مفتوحة خارج العاصمة وخارج المصلى المخصص عند باب النصر، وهي مسألة أصر عليها الخليفة حتى في أوقات الأمطار الغزيرة وتوحل المكان وكان الخليفة الفاطمي يقف بالمصلين إماماً، وهي عادة ظلت ترافق العهد الفاطمي حتى في أصعب فتراته كالشدة المستنصرية، فعلى الرغم من خروج زمام الحكم من أيدي المستنصر بالله في هذه الشدة إلا أنه بقي محافظاً على أداء الصلاة بالناس في العيدين.

كان من عادة الخلفاء الفاطميين زيارة تربة الزعفران، حيث ترقد جثامين أسلافهم، ثم توزع الصدقات على الفقراء وتربة الزعفران حل محلها خان الخليلي الآن.

في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله أخذت الاحتفالات وجهاً أكثر جاذبية وإثارة مع إشراك الحيوانات في المواكب، كالأسود والزراف والفيلة فكان جنوده المشاركين في الحفل يجلسون على أسرة على ظهور الفيلة وترافق المواكب فرق الموسيقى تصدح بأصوات بهية علاوة على ممارسة الألعاب البهلوانية والاستعراضات والتي تخصص فيها طائفة من أهل برقة أطلق عليهم صبيان الخف وكانت هذه الألعاب والاستعراضات تقام في ساحة مفتوحة سميت رحبة العيد أمام القصر الفاطمي ليطل عليها الخليفة من نافذة قصره، ومازالت هذه الرحبة قائمة بحي الجمالية أمام مدرسة الأميرة تتر الحجازية.

كان توزيع الحلوى على الناس من مظاهر الاحتفالات الفاطمية بالعيد ومنها خشكنانج (حلوى على شكل هلال من رقاق في وسطها اللوز أو الفستق) وبسندود أو كعب الغزال والكعك علاوة على إقامة الأسمطة الحافلة بألوان شتى من الطعام وبكميات ضخمة، ودعوة الناس من مختلف الطبقات لها وقد أُقيمتْ دارٌ خاصة بذلك عُرِفَت بدار الفطرة ليأخذ الأمر شكلاً أكثر تنظيماً في عهد الخليفة العزيز بالله وخصص لها

ميزانية كبيرة، وكان الناس يأكلون على قدر طاقتهم ويسمح لهم بحمل ما فاض معهم.

ومن الجدير بالذكر أن صناعة كعك العيد سابقة على العهد الفاطمي فهي على الأرجح عادة فرعونية، حيث وجدت في مقابر الفراعنة لكنها تسربت للعهود الإسلامية بمصر، وذاع صيتها في الدولة الطولونية والأخشيدية أيضاً إلى حد أن وصل الأمر لحشو أبو بكر المارداني، وكان وزيراً لكافور ولأبي منصور تكين التركي للكعك بالنقود الذهبية والتي عرفت بأنطونلة أو أفطن له.

ومن العادات الفرعونية الأخرى التي ظلت ملازمة للمصريين بأعيادهم في العهود الإسلامية تناول الأسماك المملحة في عيد الفطر وهي عادة لا يشاركهم فيها سوى أهل جزر المالديف أو ذيبة المهل، كما جاء ذكرهم عند الرحالة العربي المغربي ابن بطوطة.

نعود مرة أخرى إلى العهد الفاطمي، حيث تُقام الأسمطة بالإيوان الكبير وكان يبلغ طول السماط ثلاثمائة ذراع وعرضه عشرة أذرع حافلاً بالأطعمة ومتسعاً لأعداد ضخمة من زوار الخليفة ككبار رجال الدولة والقضاة والأمراء وزعماء اليهود والأقباط، ولا يخلو الحفل من تباري الشعراء في إلقاء قصائدهم. وقد تدرج الإنفاق في أسمطة العيدين ما بين أربعة آلاف دينار في بعض العهود الفاطمية إلى أن وصل لمائة ألف دينار عين في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، وقد قصد بهذا الإنفاق الكبير

المبالغة في إظهار جود الخلفاء الفاطمين وكسب محبة العامة لهم واسترضاءَهم وكان المسؤول عن تسجيل نفقات العيد صاحب إيوان المجلس.

أما مديح الشعراء للخليفة الفاطمي إلى حد وصفه بالإلوهية فهو عادة سابقة على حضور الفاطميين إلى مصر فابن هانئ الأندلسي والذي وافته المنية قبل حضوره لمصر خنقاً، قال في مدح المعز لدين الله الفاطمي في احتفالات عيد الفطر:

جود كأن اليم فيه نفاشة ... وكأنما الدنيا عليه غثاء

ملك إذا نطقت علاه بمدحه ... خرس الوفود وأفحم الخطباء

هو علة الدنيا ومن خلقت له ... ولعلة ما كانت الأشياء

ليست سماء الله ما تروثها ... لكنّ أرضاً تحتويه سماء

نزلت ملائكة السماء بنصره ... وأطاعه الإصباح والإمساء

وهو صاحب الأبيات الشهيرة أيضاً:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار		فاحكم فأنت الواحد القهار

فكأنما أنت النبي محمد		وكأنما أنصارك الأنصار

ومن مظاهر الاحتفال بعيد الفطر توزيع النقود على الناس وتوزيع الكسوات والحلل على موظفي الدولة على اختلاف درجاتهم وكانت الكسوة توزع على النساء تبعاً لمكانتهن فزوجات الخليفة في البداية، ثم عماته، ثم بنات عمومته، وكان ثمن الكسوة يصل إلى عشرين ألف دينار، لذلك لازم

هذا العيد تسميته بعيد الحلل والموسم الكبير وقد وصل البذخ في الاحتفال بعيد الفطر إلى حد توزيع الإقطاعات في عهد الحاكم بأمر الله.

نأتي على ذكر العهد المملوكي والذي ارتبط بكثرة الخرافات لدى العامة والسلاطين على السواء كالتطير والتشاؤم من مجيء العيد يوم الجمعة لكونه علامة على زوال السلطان، وحدث أن تصادف مجيء العيد يوم الجمعة في عهد السلطان الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباي، وقد كان صبياً فتحادث العامة بأن ذلك نذير شؤمٍ وعلامة على زوال سلطانه وحاول السلطان أن يقنع قاضي القضاة الشافعي زين الدين زكريا أن يستبق العيد بيوم حتى لا يكون يوم الجمعة، لكن القاضي رفض فاحتجب السلطان ولم يخرج للصلاة وقضى اليوم مع الأوباش واللصوص! ولم يمنع حذر السلطان من بلوغ قدره، إذ سرعان ما انقلب الأمراء عليه بمعاونة خاله الظاهر قانصوه الأشرفي وقتلوه وتسلطن قانصوه مكانه لينقلب عليه الأمراء لضعفه، ففر قانصوه متنكراً في زي النساء، لكنهم قبضوا عليه واقتادوه إلى سجن الإسكندرية، ونصبوا الأتابك الأشرف جان بلاط، ثم العادل طومان باي، ثم قانصوه الغوري.

القليل من السلاطين المماليك مَنْ تمرد على هذا الزعم، مثل الظاهر سيف الدين جقمق في إعلانه لعيد الأضحى يوم الجمعة، كما أن الأشرف قايتباي مر بحكمه خمسة أعياد وافقت يوم الجمعة، ومع ذلك ظل بالحكم أكثر من ثلاثين عاماً، ولكن ذلك لم يقنع العامة ولا ابنه أبو السعادات!

أخذت احتفالات المصريين بالعيد في الأزمنة المملوكية أشكالاً متنوعة بين زيارة المقابر وبين ركوب القوارب بالنيل، وقد شهدت هذه الأزمنة شدة أحياناً وتراخياً أحياناً فيما يتعلق بمشاركة النساء هذه الأجواء الاحتفالية خشية شيوع المفاسد والمعاصي.

ومن الطريف أن شهد العصر المملوكي مصادفة عيد الفطر مع أعياد القبط عامي **1463** و**1488**م وكذلك عيد وفاء النيل عام **1490**م فكانت تتضاعف سعادة المصريين.

****

الحلقة التاسعة

بيت السناري

يعتبر بيت السناري واحداً من التحف الأثرية المملوكية شديدة الثراء ويقع البيت في حي الناصرية بالسيدة زينب في نهاية حارة مونج (نسبة لأحد علماء الحملة الفرنسية)

فمن هو السناري الذي يحمل البيت اسمه وكذلك يحمل أحد الشوارع بالحي اللاتيني بباريس اسم ساكنه الفرنسي مونج والذي جاءت مقبرته بفرنسا أشبه بالطراز الفرعوني؟

لا تحمل كتب التاريخ كثيراً من التفاصيل عن إبراهيم كتخدا السناري سوى أن أصله من برابرة دنقلة بجنوب شرق السودان، وأنه قدم لمدينة المنصورة في بداياته ليعمل كبواب وهناك تعلم القراءة والكتابة وانكب على كتب السحر والتنجيم حتى أصبح عرافاً مشهوراً يكتب ويقرأ التعاويذ....

ولأنه عاش في زمن المماليك وهو العصر المظلم الراسخ على تلال من الجهل فلا غرو أن يصعد نجمه ويحتل السناري مكانة عالية بعدما أجاد وأتقن لغات هذا العصر من النفاق والكذب والتدليس! علاوة على الشعوذة فدخل

في البداية في خدمة مصطفى بك الكبير وتعلم اللغة التركية لغة المراسلات مما مكنه من الانخراط في صفوف المماليك كواحد منهم، ولكنه يرتكب خطأ كبيراً حينما يصبح أداة مصطفى بك في التشهير بمراد بك الكبير والذي أصبح له ولاية مصر فيصبح السناري مطلوباً ومطارداً من جانب مراد بك وبعد وساطة حدثت المصالحة بين السناري ومراد بك وهنا لعب الزهر لعبته! فتحول السناري من عدو إلى رفيق لمراد في غدوه وترحاله، ثم نائباً عنه مما رفعه إلى مرتبة الأعيان، وأصبح يمتلك مماليكا وخدماً علاوة على ثروة طائلة فبنى بقسط منها ثلاثة قصور فخمة كان بيتنا هذا واحداً منها، ولقد شاء القدر أن يحفظ ذكرى هذا البيت فيما زال أثر البيتين الآخرين..

وليس هناك ما هو أدل على المكانة الفائقة للرجل من حجم الأوصاف التي حملتها حجة بيته والمحفوظة بوزارة الأوقاف فهو فخر الأماثل وكمال الأعيان العظام عين أعيان ذوي القدر أولي الشأن الفخام الجناب المكرم والمخدوم المفخم الأمير إبراهيم كتخدا المعروف نسبه الكريم بالسناري كتخدا افتخار الأمراء العظام كبير الكبراء أولي الشأن الفخام صاحب العز والقدر والمجد والاحترام المقر الكريم العالي حايز أنواع كمالات المفاخر والمعالي أمير اللواء الشريف السلطاني والعلم المنيف الخاقاني مولانا الأمير مراد بيك محمد أمير الحاج الشريف المصري سابقاً، دامت عزته

وأبدت سيادته وأعز جناب الواقف المشار إليه أعلاه آمين). ولكن ما هو الدور الحضاري الذي لعبه هذا البيت؟

لم يسكن السناري بيته في السيدة زينب سوى أربع سنوات فقط فبعد مجيء الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت صودر البيت الفخم وتحول إلى مجمع علمي يقيم به أعضاء لجنة الفنون والعلوم ومن ضمنها المصور أريجو صاحب الرسومات الرائعة وكانت اللجنة برئاسة جاسبار مونج الذي أشرنا إليه من قبل وتحمل الحارة اسمه وانقسم معهد بيت السناري إلى أربعة أقسام هي الرياضيات والاقتصاد والآداب والفنون وانتهت أعمال هذه اللجنة بوضع كتاب وصف مصر أحد أشهر مؤلفات الحملة عن مصر...

يبقى السؤال أين ذهب السناري؟

هرب السناري مع المماليك إلى الصعيد مع مجيء الفرنسيين وأجاد لعبة التخفي عن الأنظار والتي كان يتقنها حتى رحلت الحملة الفرنسية عن مصر واستتب أمر الحكم في مصر للمماليك والعثمانيين وسرعان ما يدب الشقاق بين الطرفين ويحاول كل طرف الاستئثار بالحكم دوناً عن الآخر ويلجأ العثمانيون إلى خدعة للقضاء على المماليك، فدعاهم حسين باشا القبطان العثماني إلى وليمة بسفينته بأبي قير للتفاوض مع القائد الإنجليزي وفي رواية أخرى للقاء السلطان، وما أن أصبحوا في السفينة وكان من بين أمراء المماليك السناري حتى توجسوا من نوايا حسين بيك فحاولوا الفرار

غير أن مدافع العثمانيين عاجلتهم من كل جانب فقتل عدد كبير من المماليك من بينهم السناري، وكأننا في بروفة مصغرة من مذبحة المماليك التي نفذها محمد علي باشا بعد ذلك ودفن السناري بالإسكندرية. وهكذا شاءت الأقدارُ أنْ يتحولَ سكنُ واحدٍ من الدجالين إلى منارة ثقافية باقية إلى الآن في خدمة الإبداع والثقافة.

بعد رحيل الحملة الفرنسية عام **1801** توقف نشاط بيت السناري وفي عام **1916**، تم استئجار البيت لجاياردون بك كمتحف باسم بونابرت وعرض فيه مجموعته الخاصة عن الحملة الفرنسية ثم أُخلي في سنة **1933**.

وفي فترة الستينيات تحول إلى مركز للحرف الأثرية التابع لهيئة الآثار. أصاب البيت الكثير من الضرر بعد زلزال **1992** فقام المجلس الأعلى للآثار بالتعاون مع البعثة الفرنسية بالقيام بأعمال ترميم المنزل في عام **1996**. وحالياً انتقلت تبعية البيت لمكتبة الإسكندرية ليعود للبيت رونقه في خدمة العلم ونشر الفنون والثقافة.

****

المصادر والمراجع

كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة الجزء الثاني لمحمد فتحي عبد العال (مع بعض التصويبات).

****

الحلقة العاشرة

أبو الهول والنبي إدريس عليه السلام

حينما نتحدث عن النبي إدريس عليه السلام، فنحن أمام معالم شخصية فريدة يصعب معها الفصل بين الحقيقة والأسطورة لندرة الثوابت فيها وترك العنان للمؤرخين والمفسرين في سد ثغرات القصة قليلة المحتوى عبر تصورات وآراء ونظريات متنوعة... وفي البداية نتوقف عند اسم هذا النبي والذي يشهد تبايناً بين الأديان والحضارات المختلفة، إلا أن اتفاقاً حول طبيعة الدور المؤثر الذي لعبه عبر التاريخ الإنساني جعله مخلداً بصرف النظر عن الاسم الحقيقي لهذا النبي الحكيم، فهو هرمس الهرامسة وأوزوريس عند قدماء المصريين، وأخنوخ في الإنجيل والتوراة، وإدريس عليه السلام في القرآن الكريم، ويقول المؤرخون أنه ينتسب إلى أمة "السريان" أقدم الأمم، وملتهم هي ملة الصابئين ويعتقد أنه دنانوخ الوارد ذكره في كتاب الصابئة المقدس، وهي ديانة الله الأولى التي أنزلت على نبيه ورسوله آدم، ولهم كتابهم المنزل الذي يسمى جنزاربا (أي الكنز العظيم)، ويعتبر النبي "دنانوخ إدريس" رابع أنبياء الصابئة.

كما يذهب البعض إلى كونه إله الحكمة عند المصريين والذي يسمى بالإله "تحوت" أو"توت". كما ينسب إليه مجموعة من النصوص تسمى متون هرمس وهي تنطق بالوحدانية لله، وتنفي عنه صفة الألوهية وتثبت أن المصريين القدماء عرفوا التوحيد في العصور الأولى.

ويقربنا الفيلسوف الإغريقي أفلاطون في محاورة كراتيليوس من الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي يربط هذه الأسماء ببعضها البعض فالاشتقاق اللفظي لكلمة هرمس أنه مخترع الكتابة والكلام وفي اللغة الإغريقية هرمس مشتقة من كلمتين أر، مس، وتعني أبا العلوم وفي تاج العروس ولسان العرب فالهرمس الهِرْماسُ بالكَسْرِ من أَسْمَاءِ الأَسَد، وبالجمع بين المعنيين في الإغريقية والعربية يمكن أن نشتق معنى الحكمة واقترانها بجسد أسد (هو نفس الرمز الذي عليه تمثال أبو الهول). كما تحدث المؤرخ ديودور الصقلي عن الدور الذي لعبه هرمس، فهو أول من حدد نطق كلمات اللغة العادية وأعطى للأشياء التي لم يكن لها مسميات من قبل أسماء وابتكر الحروف الهجائية وعلّم الناس عبادة الإله وتقديم النذور والأضاحي وقام بدراسة حركة النجوم وهو أبو البيان.

وتحت اسم إدريس تحدث المفسرون الإسلاميون أنه أول من خطّ بعد آدم عليه السلام وقطع الثياب وخاطها، وقد ورى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا ذرٍّ أربعةٌ سُريانيُّونَ: آدمُ وشِيثُ وأخنوخُ وهو إدريسُ وهو أوَّلُ مَن خطَّ بالقلمِ

ونوحٌ". واختلف في نسبه وأشهر ما قيل هو إدريس بن يرد بن مهلاييل، ويسمى أيضًا أخَنوخ، وينتهي نسبه عليه السلام إلى نبي الله شيث بن آدم عليهما الصلاة والسلام، والسبب في تسمية إدريس بهذا الاسم لأنه مشتق من الدراسة، وذلك لكثرة دراسته للصحف التي أنزلت على سيدنا آدم وابنه شيث عليهما الصلاة والسلام، كما ورد ذكره في القرآن الكريم قال الله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا *وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) (مريم: **56**) وفي تفسير (ورفعناه مكاناً علياً) ورد عن مجاهد قوله: إدريس رفع ولم يمت، كما رفع عيسى وأنه رفع إلى السماء الرابعة، وإذا أضفنا مسألة الرفع إلى الدور الديني والتنويري والنهضوي لإدريس نستطيع أن نمسك بالأسانيد الكافية التي نستطيع أن نعول عليها عند الربط بينه وبين شخصية أوزوريس صاحب الأسطورة الشهيرة الأقدم من عصر الأهرامات.

فأوزوريس صار ملك العالم، وما أن صار ملكاً حتى رفع الشعب المصري من حالته البائسة وجعلهم يعرفون ثمرات الأرض ومنحهم القوانين وعلمهم أن يحترموا الآلهة، وبعد ذلك زرع الأرض كلها لينشر فيها الحضارة مما أوغر صدر شقيقه الأصغر "ست" عليه؛ فدبر لقتله إذ صنع تابوتاً على مقاس أوزوريس وأعلن على الملأ أن التابوت سيكون من نصيب الشخص الذي يناسب مقاس التابوت تماماً عندما يرقد فيه وشرع المتآمرون مع "ست" يجربون الرقود في التابوت، فلا يناسبهم حتى جاء دور

أوزوريس الذي ما أن رقد في التابوت حتى أسرع "ست" والمتآمرون معه بغلق التابوت بالمسامير والرصاص المنصهر، ثم حمل التابوت وألقاه في النيل وتمضي الأسطورة مع رحلة زوجة "أوزوريس" في البحث عن جثمانه وعثور "إيزيس" على جسمانه وإخفائه عن أعين "ست" تمهيداً لإعداد طقوس الدفن ولكن "ست" ينجح في العثور على الجثمان ويمزقه إرباً وينثر أشلاءه على طول مصر وعرضها وتعود "إيزيس" مرة أخرى إلى رحلة البحث لتجمع أشلاءه حتى نجحت في ذلك، وجلست تبكي وتستعطف الآلهة فرقت لحالها فقامت أمه "نوت" بإحياء رميم عظامه، فقام من بين الأموات، ثم حملت منه بوحيدها "حور" ثم تتحدث الأسطورة عن المعنى الذي نريد أن نتوقف عنده وهو الرفع؛ فقد رفعت الآلهة "أوزوريس" من بين الموتى إلى السماء جسداً حياً" ليصبح إله مملكة الموت تعويضاً له عما لحقه في الدنيا من أذى.

والحقيقة أننا نشكك في مسألة تأليه أوزوريس، حيث إنه لم ينسب إليه فعل الخلق، كما لم يتخل عن صورته الإنسانية مما يجعله متفرداً إذا ما قورن بالآلهة المصرية القديمة، والتي عادة ما تأخذ الأشكال الحيوانية ويمكننا أن نراها في عائلة أوزوريس ذاته: فحورس يرمز بالصقر وإيزيس يرمز لها بالبقرة أما أوزوريس فهو دائماً على صورة الرجل.

ننتقل إلى تساؤل هام: هل من المعقول أن رمزاً للحكمة والمعرفة كإدريس عليه السلام عاش في عصر الفراعنة ولا يخلد بأثر باقٍ؟! يذكر غير واحد

من المؤرخين الإسلاميين ومنهم جلال الدين السيوطي في كتابه تحفة الكِرام في أخبار الأهرام من أن إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان، فأمر ببناء الأهرام، وإيداعها الأموال، وصحائف العلوم، وما يُخاف عليه من الذهاب والدثور وهو ما ذهب إليه ابن النديم في الفهرست، إنه كان أحد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وإنه كان إليه بيت عطارد، وباسمه يسمى فإن عطارد باللغة الكلدانية هرمس.

وقيل: إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب، وإنه ملكها. وكان له أولاد عدة منهم طاطا وصا وأشمن وأثريب وقفط وإنه كان حكيم زمانه. ولما توفي دفن في البناء الذي يعرف بمدينة مصر بأبي هرمس ويعرفه العامة بالهرمين، فإن أحدهما قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته. والصابئة تزعم أنّ أحد الهرمين قبر شيث، والآخر قبر هرمس، والملون قبر صاب بن هرمس، وإليه تنسب الصابئة، وهم يحجون إليها، ويذبحون عندها الديكة والعجول السود، ويبخرون بدخن. ومن مجمل هذه الأدلة يمكننا أن نربط شخصيتنا بالأهرامات بشكل أو آخر.

نرى أن أبا الهول هو الأثر الخالد لإدريس عليه السلام، ويمكننا أن ننظر إلى أبي الهول بصورة مغايرة لوصفه كأسد برأس إنسان، وكأنها من المسلمات مع أنها فرضية ضمن فرضيات عدة فالصخرة الصماء خلت من أية نقوش أو كتابات تتحدث عن التمثال وطبيعة دوره وتركت للنظر فقط

تحديد ماهية التمثال، فلمَ لا ننظر إليه بصورته الطبيعية الواضحة كإنسان كامل يديه تخطان على الرمال وفي مشهور الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ مِثْلَ خَطِّهِ فَذَاكَ) وكان إدريس عليه السلام يخط على الرمال وعلاقة أبو الهول بالرمال علاقة وطيدة ترافقت مع التمثال عبر تاريخه بل الطريف أن النقش الوحيد على التمثال كان تتويجاً لهذه العلاقة، فلوحة الحلم وهي لوحة تذكارية أمر بوضعها الفرعون تحتمس الرابع بين اليدين الممتدتين لتمثال أبي الهول، تخليداً لحلمٍ حلم به هذا الفرعون قبل أن يعتلي عرش مصر في عام **1401** قبل الميلاد عندما كان أميراً شاباً وكان يقوم ذات يوم بالصيد على هضبة الجيزة.

وعندما أصابه التعب لجأ إلى أبي الهول الذي كانت قد غطته رمال الصحراء ولا يظهر منه سوى رأسه، وغلب الأمير النوم. وراوده الحلم بأبي الهول في المنام واعداً إياه بتبوء عرش مصر، وطالباً منه أن يزيل ما تراكم عليه من رمال. وهو ما تحقق بعد عدة سنوات من اعتلاء الأمير عرش مصر، ثم وفائه بوعده لأبي الهول وإزالة الرمال من حوله، ولا يمكننا أن نتجاهل البعد الدعائي في هذه القصة.

يعتقد الباحثون أن بناء (أبي الهول) تزامن مع بناء هرم خفرع وأنه يرمز لخفرع نفسه، ولكن الباحثون تواجههم عقبتان تمنعهم من تمرير هذه

الفرضية واعتبارها حقيقة مسلَّمٌ بها: أولاً، عدم وجود كتابات نصيه تشير إلى ذلك، ولا حتى معلومة واحدة تتحدث عن أسباب وظروف بنائه. ثانياً، علامات التآكل التي تظهر على سطح التمثال تختلف عن علامات هرم خفرع، فتلك على جسد (أبي الهول) تظهر كعلامات عوامل التعرية بسبب وجود مياه والتي لا تظهر مثلها على الهرم، فمن غير المنطقي أن تكون هناك سحابة صغيرة فوقه تمطر عليه فقط وإضافة إلى ذلك عدم وجود شبه بين أبي الهول وتماثيل خفرع!

فهل يمكننا العودة إلى آثار خفرع وبناة الأهرامات لمحاولة الوصول إلى صورة كاملة عن علاقة ما تربطهم بأبي الهول؟!

للأسف لا تعطي الآثار المتوافرة من عهدي خوفو وخفرع ما يعين على وضوح الصورة بشكل ولو جزئي، أما آثار منكاورع فجلُّها انتهى تماماً من الوجود، فلم يعد بإمكان جثمانه أو آثاره أن تبوح بأسرارها بعد غرق السفينة "بياتريس" عام **1838** أمام مدينة "قرطاجنة" التاريخية، حيث كانت السفينة تقل التابوت الخاص بالملك "منكاورع" وهو التابوت المصنوع من البازلت بالإضافة إلى كنوز أثرية أخرى خاصة بالملك الراحل في رحلة من مصر إلى إنجلترا لإجراء بعض الدراسات العلمية عليه لتصبح ذكرى الملك أثراً بعد عين.

والحقيقة البارزة أن أبا الهول كان سابقاً على الأهرامات في منطقة الجيزة - وهو الرأي الذي يمكن استنتاجه من اللوحة الكبيرة من الحجر الجيري التي أنشأها امنحتب الثاني وهو ما ذهب إليه بليني عالم الطبيعيات الروماني وكذلك رأي عالم الآثار الالماني هنري بروكش، والذي بناه على أن خوفو رأى أبا الهول وبالتالي فلابد وأنه كان موجوداً قبل عهده وهو رأي عالم الآثار الفرنسي جاستون ماسبيرو أيضاً، وفي ظننا أن وجود أبي الهول في هذه المنطقة كان السبب الذي حدا بملوك الدولة القديمة إلى بناء أهراماتهم حوله أو أن صخرة التمثال كانت بمكان آخر وتم جلبها إلى هذا المكان ودليلنا أن أحداً من المؤرخين القدامى أمثال المؤرخ هيرودت (المتوفى سنة **430** قبل الميلاد) وديودور الصقلي اللذان زارا هذه المنطقة لم يشِرا إلى أبي الهول مع استفاضتهما في الحديث عن بناء الأهرامات وهو ما يضعنا أمام فرضيات ثلاث: الأولى أن أبا الهول شيد في مرحلة لاحقة على بناء الأهرام وهو أمر مستبعد تماماً أو أنه أمر واقع وسابق بكثير على شهود بناء الأهرامات والتسجيل الكتابي، بحيث لا يمكن تتبعه أو الوقوف على شواهد حوله وهي الفرضية التي يدعمها أن تاريخ أبي الهول كان مجهولاً حتى على ملوك الدولة الحديثة أنفسهم!

كما أن تعدد مسميات أبي الهول دون مسمى محدد فهو «روتي» رمز الحماية والحراسة في عصر الدولة القديمة وهو «شسب عنخ» تعني الصورة الحية

نسبة للوحة الحلم السابق ذكرها في عهد الدولة الوسطى وهو «حور إم أخت» بمعنى حورس (الصقر) في الأفق في عهد الدولة الحديثة وهو «حورونا» نسبة إلى الإله الكنعاني «حورونا»، وهو إله الحماية الذي دخل مصر مع الأجانب الذين استوطنوا بجوار أبي الهول وهو أيضاً بر حول أو بو حول بمعنى مكان أو بيت أو ملاذ حورس، ثم انتهاءً بأبي الهول (الفزع) عند العرب يوضح أن ماهية التمثال كانت خافية على مدار التاريخ الفرعوني المدون وما يمكن استخلاصه هو أن أبا الهول كان رمزاً لشخص كان نقطة الانطلاق نحو التدوين ذاته.

والدليل على أن أبا الهول كان رمزاً لشخص مؤثر في جميع العصور وليس مجرد صورة لملك معين سواء أكان خفرع أو خوفو من أن الهكسوس المحتلين أنفسهم اتخذوا تماثيل لأبي الهول مع عدائهم لمصر الفرعونية فهل كانوا بذلك يخلدون ذكرى خفرع!

كما أن تماثيل أبي الهول منتشرة في بابل وفينيقيا وآسيا وبلاد اليونان وهو ما نراه على خط متوازي مع حركة التنوير التي قام بها النبي إدريس بدءاً من بابل مسقط رأسه ومروراً بمصر وأنه أسهم في تخطيط مئات المدن.

أما الفرضية الثالثة الزاعمة أن أبا الهول كان مغطى بالرمال إلى الحد الذي لايمكن رؤيته مما جعل هيردوت والصقلي يغفلون عنه هو زعمٌ واهٍ لا يمكن قبوله وإلا فمن غير المعقول أن يراه المؤرخون الحديثون أمثال

المقريزي بل ويصفه المؤرخ التجيبي السبتي المتوفى سنة (**730**هـ) في كتابه (مستفاد الرحلة والاغتراب) تحت عنوان (أبو الهول) بصورة رأس الإنسان، غير أنه غاية في الكبر قد قام كالصومعة العظيمة.

كما وصفه ابن فضل العمري المتوفى سنة (**749**هـ) في كتابه (مسالك الأبصار) بصنم بقرب الهرم الكبير في وهدة منخفضة وعنقه أشبه برأس راهب حبشي بينما لا يراه هيرودت والصقلي الأقرب زمنياً من شهود الحدث والكهنة الباقين الذين لديهم الصورة الأقرب للحقيقة.

العديد من أجزاء تمثال أبي الهول منفصلة عنه، مثل حية الكوبرا المقدسة التي آمن بها الفراعنة، والأنف الذي يُعتقد أن نابليون كان قد دمره وهي الفرضية التي يسارع الجميع إلى إنكارها في سبيل تبرئة المحتل الفرنسي واعتباره قادم في ثوب تنويري لا ينبغي أن يمسه الدنس مع أن جحافل خيوله دخلت الجامع الأزهر غير عابئة بقدسية المكان ورمزه الديني! ثم يلصقونها في شخص الشيخ محمد صائم الدهر وهو كما يذكر المقريزي من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء قام نحو من سنة ثمانين وسبعمائة بحملة لإزالة المنكرات والتصاوير وعلى رأسها تمثال أبي الهول، وظل يجاهد في تحطيمه، فلما صعب عليه الأمر اكتفى بتشويه فمه وأنفه، وإذا علمنا ما فعله الحاكم بمحمد صائم الدهر لتأكدنا أن ما ساقه المقريزي عارٍ تماماً من الصحة!!

فتتمة الرواية أنه مع علم الحاكم، بما فعله الشيخ المذكور قبض عليه وقطعه إرباً إرباً وأمر بدفنه بجوار أبي الهول فهل كانت محاولة هدم الأهرام أو أبو الهول في هذه العصور بالجريمة التي تستوجب القصاص!

وقد سبقه إلى القصد نفسه الخليفة المأمون حينما أمر بهدم الأهرام وانصرف عن ذلك لارتفاع الكلفة، كما أن العديد من الخلفاء الفاطميين ومنهم العزيز بالله استخدم أحجار الأهرامات في بناء المساجد.. وللحقيقة فنابليون هو الآخر بريء من هذه الفعلة فالرسوم التي صنعها المستكشف الدنمركي فريدريك لويس نوردين لأبي الهول في عام **1737** ونشرت في عام **1755** في كتابه "الرحلة إلى مصر والنوبة" تبين التمثال بلا أنف.

ومن الأجزاء المنفصلة الأخرى اللحية وهي ترمز إلى أوزوريس أو إدريس كما أثبتنا وهو صاحب التمثال الحقيقي وتعرض اللحية حالياً في المتحف البريطاني حيث أهداها إليه عالم المصريات الإيطالي جيوفاني كافيجليا، الذي عثر على جزء من اللحية خلال أعمال حفر وتنقيب قام بها عام **1817** وغالب الظن أن العوامل الطبيعية، أسهمت بالدور الأكبر في تفتيت هذه الأجزاء من التمثال، من رياح ورطوبة وعوامل التعرية الأخرى ولا يوجد أي دور للحضارات الإنسانية في تشويه النبي الحكيم ورمز العلم والتوحيد عبر الحضارات قاطبة.

ومع نهاية رحلتنا عبر ربوع التاريخ نتمنى أن نكون قد سطرنا عبر أحاجي المنطق للمكانة العلية التي استحقها سيدنا إدريس عليه السلام أبو الهول العصور القديمة ورمز العلم والحكمة في كل العصور.

المصادر والمراجع

كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة الجزء الأول لمحمد فتحي عبد العال (مع بعض التصويبات)

****

الحلقة الحادية عشر

مسجد المرسي أبو العباس

يعد هذا المسجد القابع في ميدان المساجد في الأنفوشي وفي نطاق حي الجمارك بمنطقة بحري صاحب أجمل مئذنة وقباب في مصر على الطراز الأندلسي. صاحبه هو الصوفي العربي الأندلسي الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي البلنسي المولود في بلدة مرسية شرقي الأندلس، والمتصل نسبه بالصحابي سيد الخزرج سعد بن عبادة الأنصاري وهو صاحب الخلاف الشهير بسقيفة بن ساعدة على تولية أبي بكر الصديق للخلافة، وقد جاءت نهايته شديدة الطرافة في التاريخ الإسلامي حيث يقال قتلته الجن وهو قائم يبول وذلك بسهم في قلبه!
نعود لأبي العباس والذي قادته الأقدار في رحلته للحج مع أسرته للقاء أستاذه الشيخ أبي الحسن الشاذلي (تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الجبار الشريف الإدريسي مؤسس الطريقة الشاذلية) بتونس!! ولذلك قصة شيقة إذ أغرقت الرياح مركبه بقرب شواطئ تونس، فنجا هو وأخوه وغرق أبواه فحط رحاله بتونس وهناك تعرف بشيخه الشاذلي ومن وقتها وأصبحا

متلازمين، حيث حجا بعد ذلك سوياً، ثم عادا للإقامة الدائمة بالإسكندرية وذلك في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ذلك أن الشاذلي رأى في منامه أن النبي يأمره بالانتقال لمصر.

اتخذ الشاذلي من مسجد العطارين منبراً للوعظ والإرشاد يساعده أبو العباس كما اتخذا داراً بكوم الدكة؛ فلما مات الشاذلي أكمل أبو العباس مسيرته الدعوية شيخاً للطريقة الشاذلية لأربعة عقود ممتدة، فأحبه أهل الإسكندرية وكثر أتباعه وذاعت شهرته.

وحينما مات أبو العباس استقر جسده الطاهر في قبر صغير بلا بناء يضمه فتبرع الشيخ زين الدين القطان كبير تجار الإسكندرية بإقامة الضريح والمسجد والذي تهدم وأعيد ترميمه وتجديده عدة مرات، وقد انتهى إلى تصميمه الحالي، وكذلك مكانه الحالي في عهد الملك فؤاد الأول في ميدان المساجد الذي أمر ببنائه، وأوكلت هذه المهمة إلى المهندس الإيطالي (ماريو روسي) عام **1933** م.

ونختتم حلقتنا بعطر كلمات شيخنا أبي العباس: (الأنبياء إلى أممهم عطية ونبينا سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم هدية وفرق بين العطية والهدية لأن العطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنا رحمة مهداة).

الحلقة الثانية عشر

مقام بلا جثمان

إنه مقام الصحابي الجليل أبو الدرداء (عويمر) بالإسكندرية الذي شارك عمرو بن العاص والجيش الإسلامي فتح مصر، وأقام بالإسكندرية فترة قصيرة يعلم أهلها صحيح الدين وعلى الرغم من وفاته بدمشق إلا أن أهل الإسكندرية أقاموا هذا الضريح تيمنا بالمكان الذي تلقوا منه تعاليم دينهم لأول مرة ولم يسكنه صاحبه والذي دفن بدمشق.

وأبو الدرداء من الأنصار من بني كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو آخر من أسلم منهم، حيث أسلم يوم بدر ودافع عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال النبي في شجاعته: (نعم الفارس عويمر) وهو ممن جمعوا القرآن في حياة النبي، فأوكل له الخليفة عمر بن الخطاب تعليم أهل الشام القرآن، كما تولى قضاء دمشق في خلافة عثمان بن عفان ومات في زمنه.

وقد ارتبط المقام بالعديد من الحواديت الطريفة من بينها أنه تصدى لمحاولة هدمه عند محاولة إقامة ترام بالمنطقة وأن خط الترام أعيد

تخطيطه ليتم تفادي الهدم، وكذلك أن المقام كفل لأهل المنطقة ألواناً من الحماية من الغارات أثناء الحرب العالمية الثانية وأشهرها الطيف الأبيض الذي صدَّ القنابل! كما ارتبط صاحب المقام لدى أهل الاسكندرية بالصقيع والبرد حيث يحلو لهم ترديد هذا المثل: (اتقوا البرد فإنه قتل أخاكم أبا الدرداء) وهو ليس بحديث لأن أبا الدرداء عاش سنوات بعد النبي وهو ما يتضح مما تقدم ذكره.

****

الحلقة الثالثة عشر

مسجد المبدولي

مسجد يقع بجوار المتحف الصحي بشارع الشيخ ريحان مقابل قصر عابدين وصاحبه هو محمد بك المبدول كاشف الصنجقية (مأمور ونائب لأحد الأقاليم الإدارية) ولهذا عرف بأمير اللواء فضلاً عن تعيينه أميراً للحج وكان اسمه في البداية مراد ووراء تغيير اسمه قصة لا تخلو من الطرافة.

برز اسم محمد بيك (أو مراد) بالتاريخ مع تصاعد حدة الصراع العثماني المملوكي والسبب أن خليفتي محمد بيك أبو الدهب والذي انقلب على سيده علي بيك الكبير، وتسبب في مصرعه هما المملوكين مراد بيك وإبراهيم بيك واللذين ما أن استقر لهما حكم مصر بالمشاركة حتى اشتد ولعهما بالمال والاستئثار به وجلبه بشتى الوسائل من جيوب العامة فاشتدا في فرض الضرائب على الأهالي بهتاناً وظلماً وبلغا في غطرستهما حد الامتناع عن دفع الضرائب السنوية للباب العالي بحجة أن الإيرادات لا تكاد تكفي النفقات الضرورية؛ خشي الباب العالي من أن يكون ذلك مقدمة لحركة انفصالية جديدة على غرار حركة علي بيك الكبير مدعومة من الروس

العدو التقليدي للباب العالي فأرسل السلطان العثماني حسن باشا قبطان لتأديبهما فانتصر عليهما ولاذا بالفرار لصعيد مصر.

كان قبطان بمثابة مهدي الزمان المنتظر للمصريين لشدة ما قاسوه فأزال عنهم الكثير من مظاهر عسف الواليين.

ولشدة كره قبطان لاسم مراد قرر أن يغير اسم مملوكنا صاحب المسجد إلى اسم محمد وعينه أميراً للحج.

لكن أثارت سياسة حسن بك تجاه الأقباط الكثير من الاستياء ذلك أنه كره امتلاكهم الجواري وراح يفتش عن مخابىء أموالهم ويصادر أمتعتهم خاصة المعلم إبراهيم الجوهري أمير احتساب مصر كما أثار حفيظة المشايخ مع رغبته في بيع الأولاد والمحظيات الحوامل ضمن أمتعة البكوات المماليك المنهزمين ثم تراجع خشية إثارة غضبهم وخاصة الشيخ السادات..

انتهت مهمة حسن قبطان في مصر مع استدعائه على عجل إبان اندلاع الحرب الروسية العثمانية تاركا مصر تحت حكم إسماعيل بك شيخ البلد وحسن بك الجداوي أمير الحج لكن وفاة إسماعيل بك بالطاعون وكل أهل بيته للدرجة التى دعت الناس لتسمية الوباء بطاعون إسماعيل عجلت بعودة مراد بك وإبراهيم بك مرة أخرى إلى سدة الحكم في مصر.

أقام محمد بيك مسجداً له كعادة المماليك والعثمانيين عام **1212** هجرية وكان موضعه آنذاك في حارة الزير المعلق. وفي العصر الحديث ومع حركات

التوسعة والإنشاءات والتنظيم الذي صاحب بناء سراي عابدين وبعده فقد نقل الجامع من موضعه ونقل جثمان محمد بيك مع أجساد أصحاب المساجد في هذه المنطقة الشيخ البرموني والشيخ الكريدي لمدفن جديد بجوار جامع الخلوتي.

وللجامع قصة طريفة مع النفاق والمنافقين ننقلها على سبيل الاستئناس دون التأكيد على مدى صحتها ذلك أن مصدرها مذكرات شخصية نقلها الشيخ أحمد شاكر عن والده.

تتحدث القصة عن تكريم السلطان حسين كامل للطالب طه حسين الشاب الكفيف الذي أرسلته الجامعة المصرية في بعثة لفرنسا وبينما السلطان يصلي صلاة الجمعة بمسجد المبدولي إذ تملكت الخطيب الشيخ محمد المهدي أعلى درجات النفاق مادحاً السلطان فقال: (عبس النبي وتولى إذ جاءه الأعمى، وما عبست ولا توليت إذ جاءك الأعمى)، وكأنه يزكي موقف السلطان في تعامله مع طه حسين ومنتصراً له مقارنة بموقف النبي مع (عبد الله بن أم مكتوم) حينما جاءه وكان منشغلاً بدعوة بعض كبراء قريش.

فاعترض الشيخ (محمد شاكر) والد راوي القصة على الخطبة متهماً الشيخ بالكفر وأن صلاة الجموع خلفه باطلة وعليهم إعادتها.

وللنفاق في مصر قصص لا تنتهي ربما نجمعها في مجلدات يوماً ما.

السيرة الذاتية للمؤلف

د. محمد فتحي عبد العال

من مواليد الزقازيق محافظة الشرقية بمصر عام **1982.**

المؤهلات العلمية:

1-بكالوريوس صيدلة جامعة الزقازيق **2004.**

2-دبلوم الدراسات العليا في الميكروبيولوجيا التطبيقية جامعة الزقازيق **2006.**

3-ماجستير في الكيمياء الحيوية جامعة الزقازيق **2014.**

4-دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية من المعهد العالي للدراسات الإسلامية**2017.**

5-شهادة إعداد الدعاة من المركز الثقافي الإسلامي التابع لوزارة الأوقاف **2017.**

6-دبلوم مهني في إدارة الجودة الطبية الشاملة من أكاديمية السادات للعلوم الإدارية **2017.**

المؤلفات الفكرية:

1-كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة -دار الميدان للنشر والتوزيع في جزئين **2019**و**2020**.

2-كتاب مرآة التاريخ-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2020**.

3-كتاب على هامش التاريخ والأدب -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021**.

4-كتاب جائحة العصر (الجزء الأول)- دار النيل والفرات للنشر **2020** .

5-كتاب حكايات الأمثال -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع**2021**.

6-كتاب فانتازيا الجائحة-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2022**.

7-كتاب صفحات من التاريخ الأخلاقي بمصر-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2022**.

8-كتاب حكايات من بحور التاريخ -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021**.

الروايات والمجموعات القصصية:

1-رواية ساعة عدل-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2020.**

2-رواية خريف الأندلس-دار لوتس للنشر الحر **2021.**

3-المجموعة القصصية في فلك الحكايات -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021.**

4-المجموعة القصصية حتى يحبك الله-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **.2022**

تحت الطبع

1-جائحة العصر مقالات ودراسات الجزء الثاني

وقد شاركت الكتب بمعارض القاهرة والإسكندرية والسودان وإسطنبول وعمان وتونس.

المشاركات في كتب جماعية:

أولاً: في مجال الكتب العلمية:

1-المشاركة في كتاب الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي الصادر عن المركز الديموقراطي العربي ببرلين بألمانيا ببحث تحت عنوان "جائحة كورونا خيارات علاجية"**2020** .

2- المشاركة بمقال علمي تحت عنوان "نحو علاج ناجع لفيروس كوفيد **19**" في الكراس العلمي الإلكتروني لكلية النسور الجامعة بالعراق "مقالات تثقيفية خاصة بكوفيد **19**"**2021.**

3-المشاركة ببحث في الكتاب الجماعي الرابع لسلسلة الدراسات الاجتماعية -مجتمع الكورونا إلى أين التداعيات والرهانات الصادر عن مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانيه لجامعة **20** أوت **1955** سكيكدة الجزائر **2022.**

ثانياً: المشاركة في كتب جماعية في مجال القصة القصيرة والمقال:

1- كتاب ديوان العرب الجزء الثالث (المقال)-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2020.**

2-كتاب أقلام عابرة (قصص قصيرة)-دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021.**

3-كتاب صليل الحروف موسوعة أدبية الجزء الثاني (قصص قصيرة) -دار ديوان العرب للنشر والتوزيع **2021.**

4-كتاب سفراء الدهشة (قصص) -دار يسطرون للطباعة والنشر **2022.**

5-كتاب قصتي لك (قصص قصيرة) -دار كيانك للنشر والتوزيع **2022.**

6-كتاب على جناح الحلم (قصص قصيرة) دار لوتس للنشر الحر **2021.**

7-كتاب حينما نطرق الأبواب (مقالات) دار لوتس للنشر الحر **2022.**

8-كتاب افتراضي (قصص قصيرة) تحت اشراف دكتور عصام محمود استاذ النقد الأدبي جامعة حلوان -دار السعيد للنشر والتوزيع **2022.**

9-الكتاب الذهبي مئة قصة لمئة مبدع من **11** دولة -مؤسسة روز اليوسف **2021**

10-كتاب دفتر وقلم شموع عربية الجزء الثاني -دار جين للنشر والتوزيع-ليبيا

11-من إبداعات الملتقى قصص قصيرة -دار الملتقى للنشر والتوزيع **2020**

الجوائز والتكريمات التي حصل عليها:

1-صيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2017** .

2-صيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية **2015** ودرعي نقابة صيادلة الشرقية ونقابة صيادلة مصر.

2-درع ملتقى ابن النيل الأدبي في القصة القصيرة **2021.**

3-شهادة تكريم ضمن الفائزين في مسابقة القصة القصيرة من مؤسسة روز اليوسف "مائة قصة لمئة مبدع من **11** دولة" في كتابها الذهبي **2021** .

4-شهادة تقدير من نقابة صيادلة الجيزة

ولجنة الثقافة والإبداع ضمن فاعليات مهرجان الإبداع الصيدلي الخامس **2021.**

5-درع التميز والإبداع من مجلة آمارجي العراقية **2018.**

6-شهادة تقدير من مهرجان الإبداع والمبدعين العرب في دورته الخامسة تحت رعاية دار جين للنشر والتوزيع بمدينة البيضاء في ليبيا في ديسمبر **2020.**

الحوارات واللقاءات:

1-لقاءات مع التليفزيون المصري برنامجي بالريشة والقلم وأنا من البلد دي.

2-لقاءات مع الإذاعة الفرنسية راديو مونت كارلو والإذاعة المصرية.

بالإضافة لعدد من اللقاءات الصحفية والإذاعية الأخرى.

المناصب التي شغلها:

1-رئيس قسم الجودة بالهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية سابقاً.

2- صيدلي ومسؤول إدارة المخاطر وسلامة المرضى ومؤشرات الأداء بمستشفى الفلاح الدولي بالرياض سابقاً.

3-كاتب وباحث وروائي مصري

النشر الصحفي والمقالات بصحف عربية ودولية:

1-مصر: الأهرام -الأهرام المسائي -روز اليوسف -الزمان -العروبة -الجمهورية

2-الجزائر: صوت الاحرار -الجديد- كواليس -الأمة العربية -الجمهورية

3-ليبيا: فيسانيا -صدى المستقبل

4-صحف للجاليات العربية بالغرب: أيام كندية بكندا وصوت بلادي بالولايات المتحدة الأمريكية

5-العراق: الموقف الرابع-مجلة المرآيا-بانوراما شباب-الصباح - الدستور- البينة الجديدة

الموسوعات التي ورد ذكر سيرته وإسهاماته بها بين عامي **2019-2021**:

1-موسوعة صحفيون بين جيلين -الجزء الثاني اعداد صادق فرج التميمي- العراق

2-مجموعة من أدباء العرب شهريار في بغداد سير ونصوص إعداد د.زينب السوداني وعبد الزهرة عمارة -إصدارات آمارجي الأدبية العراق.

3-الفيصليون ومايسطرون سجنوه في كتاب-إصدارات الفيصل -باريس.

4-دليل آفاق حرة للأدباء والكتاب العرب الإصدار الثالث اعداد الشاعر محمد صوالحة والروائي محمد فتحي المقداد- الأردن.

5-الموسوعة الحديثة للشعراء والأدباء العرب الجزءان الخامس والثامن عن دار الرضا للنشر والتوزيع ودار الجندي للنشر والتوزيع- مصر.

****

محتويات الكتاب

إهداء..5
مقدمة..6
الحلقة الأولى..7
ضريح الشبيه وجامع الأفخر..7
المراجع والمصادر..12
الحلقة الثانية..13
قبة أفندينا..13
المراجع والمصادر..20
الحلقة الثالثة..21
مسجد الشيخ الخلوتي..21
المراجع والمصادر..25
الحلقة الرابعة..26
مسجد العطارين..26
المراجع والمصادر..31
الحلقة الخامسة..32
مساجد سادات قريش والمقرقع وأمير الجيوش..32
المراجع والمصادر..37
الحلقة السادسة..38
ضريح مالك الأشتر..38

المراجع والمصادر..43
الحلقة السابعة 44
مسجد المؤيد شيخ 44
المراجع والمصادر..48
الحلقة الثامنة 49
مظاهر الاحتفال بعيد الفطر في العصرين الفاطمي والمملوكي........49
الحلقة التاسعة 55
بيت السناري 55
المصادر والمراجع..59
الحلقة العاشرة..60
أبو الهول والنبي إدريس عليه السلام..60
المصادر والمراجع..72
الحلقة الحادية عشر 73
مسجد المرسي أبو العباس 73
الحلقة الثانية عشر..75
مقام بلا جثمان..75
الحلقة الثالثة عشر..77
مسجد المبدولي..77
السيرة الذاتية للمؤلف..80
محتويات الكتاب 88



قصص من تاريخ مصر

حواديت المحروسة

د. محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى

1443 هـ 2022 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

00201030502390

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com